إسورة و كلبش

اسم الكتاب: إسورة و كللبش

النوع: رواية

تأليف: عمر المختار كامل

إصدار: 2023

تحت إشراف: أسماء أبو العطا

تصميم الغلاف: أماني محمود

تدقيق لُغوي و إخراج فني: عبد العليم منا

رقم الإيداع: 2023-20064

الترقيم الدولي I.S.B.N: 978-977-86782-6-0

9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين
بجوار مدارس حسام الدين الخاصة – فيصل – الجيزة

موبايل: 01007136897&& 01113079741

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمسائلة القانونية.
أما الحقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

عمر المختار كامل

إسورة و كلبش

رواية

كاريزما
للنشر والتوزيع

أظنُّ لدرجة اليقين أن الواقع غير منصف، كيف له أن يتسم بتلك الصفة وهو عاجز على أن يتحسس ما بداخلنا؟! دومًا نراه يفرض علينا حياة ليست بحياتنا، بمحيطها وأركانها وأشخاصها، بل ويحشد جنوده ويلجِّم أيدينا، بل والأحْرى أنه يقيِّد أرواحنا، ويسلب منَّا أدنى حقوق لنا في الحياة وهو أن نعيش مع أناس نشبهنا ونشبههم، هنا يزيد الواقع من أوجاعنا ويقوم بتسليح نفسه ضدنا وضد ما نملك من المشاعر والأحاسيس، حتى وإن فكرنا يومًا أن نسرح بخيالنا ونحلم ونستشعر الأمل في أن نتحرر من تلك القيود؛ يأتي الواقع بجبروته وقسوته ليُلقننا درسًا عنيفًا يعيدُنا إلى نقطة الصفر من جديد، نعاني هول خيباتنا وتئن قلوبنا بما تحمله بداخلها وتهزل أجسادنا وتنطفأ هويتنا.

ورغمًا عن ذلك –وعما أعتقده بداخل أفكاري– لم أجد أي سبيل غير سبيل الخيال كي أهرب من واقعي، فعكفتُ أكتبُ في مدونتي عن تلك الفتاة،

الملكة كما ألقبها التي طالما حلمت بها –بكافة تفاصيلها وملامحها وهيئتها وصفاتها– تفاصيل تصل إلى درجة الدقة، هربت إليها واستشعرت نفسي بداخلها ونقشتها على جدار قلبي، قضيتُ معها الأيام والليالي؛ شاردًا، حالمًا، أفزع إليها من هول ما أُعاني، حتى صارت كالقرين ترافقني حياتي وتهون عليّ مشقاتها، اشتققت اسمها من الأماني فأسميتها "أُمنية"، فكانت بالفعل ما تتوق روحي لها، فصارت طمأنينة الفؤاد ومنى القلب وراحة البال.

إسورة و كلبش

OPEN

الإهداء

إلى منْ طرقت أبواب البهجة، فكانت البُشرى بعد أن مررتُ بأعوامي العجاف بين متاهات الحيرةِ والقلق.

إلى منْ تعلق القلب بها، فصار يطمئنُّ حال لقياها ويعانق عبق حضورها.

إلى التي أحبَّها القلب وصدَّق العقل يقينًا لها ونشبثت الروح بطيفها، فأصبح الحب منها وإليها.

أهدى إليكِ من مدونة عشقي لكِ... رواية إسورة وكلبش.

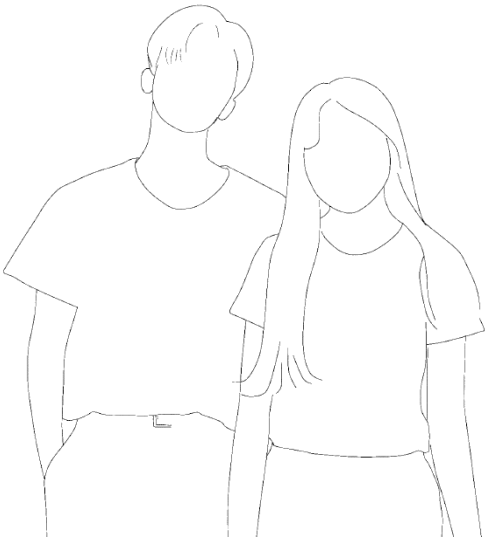

ما لي ولك أيها القمر لا أحب أن أفيض عليك
دمعتي فقد ترى فيها أشعة كثيرة من ألوان
الأسرار المختلفة، بل أنا أراها في قلبي وقد
اشتمل بها الخيال الحزين، خيال هذا الأمل
الذي يسميه الناس "الحب" ونسميه الطبيعة
"الحياة المعذبة"
مصطفى صادق الرافعي

ارتفعت صافرة القطار الخارج من مدينة المنيا متوجهًا إلى القاهرة، كان الصخب يعلو حولي بشكل يصم الآذان، لكني كنت شاردًا بعيدًا جدًا، في ذلك المؤتمر الذي استقليتُ من أجله القطار، في الحقيقة لم يكن هذا المؤتمر الأول من نوعه الذي أسافر له، فقد اعتدت حضور العديد من المؤتمرات رغبة في تنمية موهبتي وشغفي بالرسم، إلى جانب عدة هوايات أُخرى كالكتابة وكرة القدم التي كانت حلمًا يرافقني منذ الطفولة لدرجة جعلت كل من رأي موهبتي في صغري يشهد بذلك، توقع أقراني لي مستقبلًا باهرًا في ذاك المجال، وكانوا دومًا ما يقولون لي " سيلمع نجمك يومًا يا محمد. "، ولكن الظروف لم تكن مهيأة لكي أحترف الأمر نظرًا لاهتمام عائلتي بالشؤون التعليمية، وظنهم الخاطئ أن المجال الرياضي سيعطل من مسيرتي التعليمية، وجهت دراستي إلى موهبة أخري كي أنعم بقيمة حب العمل. أدركت حقيقة الأمر

أني قد تهاونت في حق موهبتي المتعلقة بالمجال الرياضي، عندما كبرت وتساقطت خرزات العمر أمام عيني حتى أتممت الثمان والثلاثون هذا العام.

كنت أحمل أمتعتي القليلة التي تكفيني لكي أقيم خلال تلك الفترة ما يقرب يومين إلى ثلاثة. أخرجت تذكرتي من جيبي كي أراجع بعض البيانات الخاصة بالرصيف الذي سألحق القطار منه وأنا في تلك اللحظة إذا عيني تسقط على سيدة يبرق النور من عينها. ابتسمت وقلت " كم سأكون محظوظًا لو كان مقعدها بجواري ". جاء القطار وأسرع الجميع لحجز أماكنهم. دخلت ووجدت مقعدي وبجواري مقعد فارغ، حدثتني نفسي عن تلك السيدة التي رأيتها عند الرصيف. أغمضت عيني قليلًا قبل أن يتحرك القطار، وفجأة شعرت بحركة بجواري، فتحت عيني فرأيت تلك السيدة، ظننت في الوهلة الأولي أنه حلم أصابني وقت غفلتي، ولكني عندما تجرعت القليل من الماء أبصرت مرة أخري فرأيتها فقلت لها في الحال " أهذا أنتِ؟ " فنطرت وقالت: " أتعرفني أو سبق وتحدثنا سويًا من قبل؟ "، عدت إلى صوابي بعد تلك المقدمة الغريبة التي انتابت السيدة بحالة ذهول، اعتذرت لها قائلًا: " لقد التبس الأمر عليَّ وظننتكِ شخصاً آخر "، قالت " لا عليكَ "، تحرك القطار وبدأت أشعر أن شيئًا ما بداخلي يدفعني أن أبدأ الحديث مرة أخري معها.

ظننت لدرجة اليقين أني أعرفها رغم أنها المرة الأولي التي أقابلها. بدأت الحديث مرة أخري وقلت:" أود أن أقول لكِ..."، ثم توقفت، فردت وقالت " ماذا تود أن تقول أراكَ شخص غير طبيعي.. أجننت؟ "

فقلت لها:" كلنا مجانين وهل من عاقل في ذلك الزمن! " حل الغضب عليها وقالت: " أتقصد أني مجنونة أيضاً." سكتُ قليلًا ثم قلتُ: "لا بالطبع أقصد نفسي"، قالت: "ولما قلت كلنا." قلت "أتحدث عن عموم البشر"، قالت "إذن تعنيني فأنا بشرية أو أنك تقصد أنني لست من البشر، كلامكَ غير واضح وتحاول تبير موقفكَ بطريقة ساذجة."

وضعت نفسي في ورطة كبيرة واحتار عقلي في الرد. فلو قلت نعم أقصدكِ ستفهم أنها مجنونة ولو قلت لم أقصدكِ ستفهم أنها دونية لها. فكرت مليًا في الرد وعن كيفية الخروج من ذلك المأزق الذي أقحمت نفسي فيه، غيرت موضوع الحديث وقلت بصوتٍ عالٍ:" يبدو أنك ذكية للغاية".

ردت:" وما شأن ذكائي بما قلتَ."، شغرت وكأنه ليس حديثًا، بل مباراة في الشطرنج. كلما حركت إحدى قطعي فاجأتني بكش ملك. حاولت إنهاء الحديث بكل الطرق فلا جدوى لتصحيح ما

قلت. قلت لها " هل لنا أن نصمت فذاك أفضل."، فردت قائلة: " أراكَ تفضل الحديث ولا تمل منه وعليكَ أن تصمت ".

كانت جملتها الأخيرة صفعة على وجهي. صمت وبدأت أغمض عيني وأبصرها من وقت لآخر. كانت منهمكة في قراءة بعض الملفات باللغة الإنجليزية من على هاتفها المحمول. كنت أختلس النظرات إليها وهي كما هي عاكفة على مهمتها في القراءة. لا تحرك ساكنًا غير إصبعها الذي كانت تمرره على شاشة الهاتف كي تتابع القراءة. وبعد قليل همت بالوقوف من مكانها وكنت على وشك أن أسألها "إلى أين تذهبين؟" ولكني خشيت أن تمطرني من غضبها وردة فعلها. انتظرتها وكنت أسأل نفسي من الوارد أن تكون انزعجت من مضايقتي لها فقررت تغيير مكانها أو أنها ذهبت وستعود بعد قليل. طال القليل وإذا بها قادمة وتحمل بيدها فنجانًا من القهوة. قدمت التحية لي وقالت "تفضل"، شكرتها ومن داخلي قلت لنفسي " كيف لشخصين أن يحتسيا فنجانًا واحدًا ". تحركت من مكاني متوجهًا إلى مقصف القطار وقلت للعامل هناك نصًا " أود فنجان قهوة "، سألني "وأي نوع ترغب؟ " قلت له " نفس النوع الذي طلبته السيدة منذ قليل." تعجب الرجل من أمري وقال مستذكرًا: "وأي سيدة؟ فقد مر عليَّ أكثر من سيدة اليوم."، قمت بوصفها وأوضحت له، اللون الأرجواني الذي كانت ترتديه كعلامة تعين الرجل على تذكرها

وتذكر نوع القهوة، لم أعرف ما الذي دعاني أن أتشارك معها في نوع القهوة خاصة وأنا لم أكن أفضل تلك المشاريب على الإطلاق. ولحسن حظي تذكر الرجل السيدة ونوع القهوة وقال " نعم تذكرت... لون أرجواني وقهوة سادة." حملت فنجان القهوة وكان ذو رائحة نفاذة، تلك هي المرة الأولي التي تعانق أنفي رائحتها. توجهت إلى مكاني وقلت لها بطريقة عفوية " قهوة سادة "، تبسمت وارتسم على محياها بسمة انعكست علي وجهي. تفاءلت خيرًا أنها قد تناسيت الموقف الأول وأن عليَّ أن أتعامل بشكل لطيف الآن فربما لا تعود تلك اللحظة ثانية، قدمت نفسي لها كي يكون لها وازعًا لتعريف نفسها. استفضت في كافة التفاصيل عن طبيعة عملي كرسام وعن بعضًا من هواياتي خاصة الكتابة والرسم. ولكنها صمتت بعد كل التفاصيل التي سردتها عن حياتي واهتماماتي وطموحاتي وقالت:

- " قهوة سادة. "

لم أتفهم شيئًا مما قالت. كررت السؤال مرة أخري " منْ أنتِ؟" فأجابت بنفس الإجابة وهمت بالانصراف وقالت " هذه محطتي."

غابت عن عيني، ولكنها لم تفارق بالي، انتابتني العديد من التساؤلات والاستفسارات عن طبيعتها وهل كانت تقصد شيئًا

وراء جوابها أم أنها كانت تود فقط أن تبقي على نفسها غامضة فلا يعرف أحد عنها أي شيء.

وصل القطار إلى محطتي وأخذت أمتعتي واصطحبني أحد سائقي سيارات الأجرة ووصلت إلى فندق الإقامة. قضيت هناك وقتًا سادهُ الصحبة الجميلة والاستفادة من التدريب، مضت الأيام بسرعة تامة وعدت إلى مدينتي تحديدًا إلي بيتي أو ما أسمية دومًا "سجني المشدد" الذي يختنق عليَّ، لا أخدعك حسن أوصفه بذلك التشبيه.

جاء الصبح الذي لم يكن بداية لأي شيء فواقعي كما هو بين ساعات العمل المتواصل وجلستي مع أصحابي ثم ترحيلي إلى محبسي كي ألاقي الأوجاع التي كُتبت في صحفي.

مرت الأيام ومازالت جملة "قهوة سادة" تطارد بالي ليل نهار. استحوذت عليَّ هيئتها وطريقة كلامها، كنت عندما اختلي بنفسي كي أدون بعضًا من كتاباتي عن الملكة أراها من آن لآخر، حتى جاء اليوم وإذا برقم يرسل إليَّ رسالة عبر الواتساب نصها.

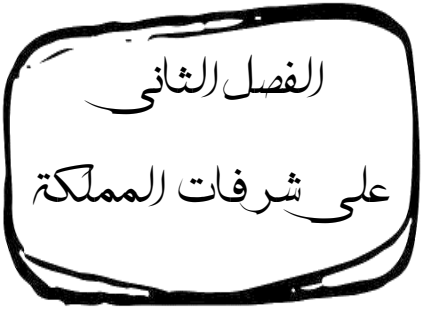

الفصل الثاني

على شرفات المملكة

السلام عليكم، أنت الأستاذ محمد حسن؟ قلت "نعم"، قدمت نفسها وقالت "أنا مهندسة أمنية أحمد وأحتاجكَ في بعض الأعمال الخاصة بطبيعة عملي في مجال الديكور"، سألتها "من أين أتيتِ بالرقم؟" قالت "من أحد أصدقائكَ الذي زكى في موهبتكَ وإتقانكَ في العمل"، قلت لها: " تمام"، قالت لي "هل ترى في ذلك مشكلة؟" قلت لها "بالطبع لا. "، رحبتُ بالأمر رغم أني كنت رافضًا من البداية أن أتعامل مع تلك الأعمال عندما لمح لي أحد الأصدقاء عن فتح باب التعامل مع مهندسي الديكور، وافقت وقلت لها: "سوف ألقي نظرة على قائمة الأعمال لديَّ وأعدكِ أن أتقبل هذه المهمة"، لم أكن أعلم وقتها أنها هي التي قابلتها في القطار من قبل، وبعد تلك المحادثة التي لم تدم طويلًا، حان وقت الحديث مرة أخرى، والتي تذكرت فيها اسمي

وأبلغتني أننا تقابلنا من قبل في محطة القطار، تظاهرت أني نسيت الأمر ومكثت لدقائق لكي أتذكر ما الذي دار بيننا في القطار، كانت حيلة مني كي لا أظهر أن الأمر مازال عالقًا في ذهني، صمتت قليلًا وقالت: " يبدو أن ذاكرتكَ ليست على ما يرام"، شعرت وقتها أنها كشفت أمر حيلتي، انتهى الحديث بيننا بعد أن نسقنا كل الأمور التي تتعلق بالمواعيد وطبيعة العمل، اشترطت أن يكون العمل أونلاين وأنها في أجازه في مصر إلا أنها ستغادر خارج البلاد في الأيام القادمة، رحبت بالأمر وبدأت في تجهيز أوراقي وكافة متطلبات العمل، بدأنا العمل سويًا وصار بشكل طبيعي جدًا، كنت أنصت إلى صوتها مرات تلو الأخرى، لم أجد تفسيرًا لهذا الأمر، كان العمل ممتع له طابع مميز حتى أنني كنت أنتظر وقت العمل ولا أعلم لماذا؟

أصبح أمر صعب التأويل والتفسير، حدثت نفسي ذات مرة "ماذا بكَ؟ إنه مجرد عمل وتتقاضى المقابل المادي من أجله، ولِمَ هذا الاهتمام منكَ؟" أجاب عقلي المتعجرف والأبي: " دعكَ من هذا فأنت تخلص في عملك ولا يوجد شيء بداخلك." تتابعت مواعيد العمل وفي كل مرة أجد نفسي شغوف لسماع صوتها لدرجة أني كنت أفتعل بعض الأمور حتى تطرب مسامعي من حسن صوتها أو أن أرى أنامل أصابعها حال أن أطلب منها تصوير بعض من أوراق العمل، أصبحت أحدث نفسي عنها كثيرًا.

استدام المعروف بيننا كأمر يحمل معاني الاحترام والتقدير أو علاقة عمل يسودها الألفة والمودة حتى جاء يوم أتذكره بتفاصيله حتى الآن، كان يوم الأول من رمضان وكنا قد حددنا موعد للعمل في الصباح الباكر وكنت قد حذرتها أن الأمر صعب ربما عليها، أجابت: "لا عليك سأستيقظ فلا تنشغل بأمري"، التزمت الصمت ونسقت أموري واستيقظت في الصباح الباكر، كان الأمر شديد الصعوبة خاصة أنني لم أكن أخذت القدر الكافي من النوم ما يعينني على أن أستيقظ مبكرًا، أرسلت لها رسالة نصية كعادتي قبل موعد العمل كي تستعد في بدء مجريات العمل، لم ترد على رسالتي مما دفعني أن أرسل العديد من الرسائل كنوع من التنبيهات لها، كل هذا وأنا في حالة انفعالية شديدة يغمرني الغضب الشديد وتجتاح رأسي الحيرة من أمرها خاصة وهي من نسقت هذا الموعد وأبلغتني أنه أمر يسير للغاية، وبعد ساعة أو أكثر وجدت رسالتها على هاتفي قائلةً: " أعتذر لك بشدة، لقد تعذر الأمر عليَّ" وبدأت في ذكر بعض من الأسباب التي منعتها أن تستفيق مبكرًا وهنأتني بالشهر الكريم، لم ألق بالًا لما قالت وانهلت عليها باللوم والعتاب، انتهى الحديث بيننا الذي نجحت فيه أن تجد المبررات لما فعلت، تركتني وأنا في حالة من الغضب الشديد لدرجة أني فكرت أن أنهي العمل معها.

انقضى اليوم بعد أن حاولت أن أتناسى ذلك الموقف السخيف منها، ولكنه ظل في ذهني طول اليوم، حل الإرهاق عليَّ وقررت أن أخذ قسطًا من النوم قبل أذان المغرب وموعد الإفطار، وإذا بي أراها في منامي تمسك تاجًا يتلألأ الماس منه وتقول "هلمَّ وتوجني على عرش قلبكَ"، استيقظت من نومي ومازال الحلم يحاوط أفكاري، أهي الملكة بالفعل؟ أهي من مكثت طويلًا أحلم بها وأكتب عنها وأراها في مخيلتي؟

قمت مسرعًا إلى هاتفي مرسلًا لها "أعتذر عما بدر مني اليوم"، فردت قائلة: "أنا المخطئة وعليَّ أن أعتذر"، قلت لها: " لا داعي للاعتذار ولي طلب منكِ"، قالت: " بالطبع تفضل"، قلت لها: " أن تدعو لي وقت الإفطار".

أجابت " ربنا يكرمكم"، بدأت في الحديث مرة أخرى فقالت "انشغلت مع عائلتي في إعداد السحور لهم".

كان لحديثها واقع عليَّ خاصة وأن الحلم الذي رأيته مازال يرافقني، استوعب عقلي المشهد وأجبت "الله المستعان"، انتهى الحديث وعادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى وبدأ صراع آخر بداخلي بين عقلي وقلبي.

الفصل الثالث

عقل يهجس وقلب يهمس

بدأ الصراع يتخللني شيئًا فشيء. صراع بين عقل يحكم بقوانينه المنطقية وقلب متمرد لا يعرف عن المفروض أي شيء، كان لكل منهما أدلته، فذاك عقلي بدأ يحدثني" أجننت؟" بل أخذ يشككني في مشاعري أنها مجرد إعجاب عابر وأنها ليست الملكة التي حلمت بها يومًا وعليَّ البعد عن ذلك الطريق والتريث في الأمر، فذاك هو الأفضل لي.

أما قلبي فهمس إليَّ" لا تستمع لذلك العقل، وإن كنت تود أن تتأكد أنها هي الملكة فاختبر إحساسك وراقبه، فهو الأولى أن يدلك ويرشدك، دع العقل في جب أفكاره فهو جامد لا يملك من الأحاسيس واتبعني، فطريقي هو سبيل الراحة والأمان لك، أما هذا ما تمنيته يومًا ما! ما الذي جرى لك يا محمد؟ "

واستجابة لعقلي قررت التعامل معها بطريقة رسمية للغاية، توقفت عن الفواصل التي كنت دومًا ما أروي لها فيها بعضًا من المواقف المضحكة، كانت ساعات العمل جادة لدرجة ملحوظة، تعمدت ذلك الأمر لدرجة أني استشعرت أن أمري أصبح فيه من الغلطة والشدة الكم الكبير، فقدت ذلك الشخص المرح الذي كان ذو الروح اللطيفة أثناء حديثي معها وأصبحت شخصًا ذو وجه من خشب، أعلم أنها لاحظت ذلك التغيير، ولكنها لم تعقب أو تتزمجر من أمري، كنت على غير حالتي بعد أن سيطر العقل عليَّ واستجبت له وسلمته مقاليد نفسي، توالت المرات وأنا على نفس تلك الحالة من المعاملة التي تقارب الجافة، أبدأ وأنهي ساعات العمل بها، ولكني استشعرت فجأة هزة قلبية تثير مشاعري وتدفعني أن أثور وأنتفض على ما يحدث، بدأت أستشعر همس قلبي يحدثني عنها، راقبت تفاصيلها من طريقة كلامها وحديثها معي، كانت قليلة الكلام، ولكنها عندما تتحدث توجز فتبلغ، كانت خجولة جدًا وكنت عندما أحدثها وأروي لها موقف مضحكًا تخفى ضحكاتها وكأنها تلك الزهرة التي تعانق ندى الصباح.

وفي مرة من المرات حاولت أن أثير اهتمامها وقلت لها "أنتِ لستِ متحدثة جيدة"، عقبت وقالت: " أعلم ذلك فليست لدى مهارة في الحديث المطول" كنت أقصد أن تكون نقطة انطلاق لحديث مطول بيننا وأن تكون هي اللحظة التي أجعلها تفيض

عليَّ بمعلومات عن شخصيتها، ولكنها لم تجعلني أغنم ما انتويت له وعدت مجددًا إلى الحديث عن العمل وتفاصيله، كان التفكير فيها يملأ رأسي ليل نهار ولذا اصطنعت الكثير من المواقف كي أدنو منها وفي كل مرة أسأل نفسي "متى يحين القرب منها؟".

وفي مرة في إحدى المكالمات بيننا وجدتها تسألني" ماذا كنت تقصد عندما وصفتني أنني لست متحدثًا جيدًا؟ "فرحت جدًا وشعرت أن أطروحتي شغلت أفكارها، وأخذت أفسر كثيرًا في معنى تلك الصفة لديها وأنها منحة ونعمة من ربي لها ودليلًا على ذكائها في أنها تفكر كثيرًا قبل أن تتكلم، نال الحديث استحسانها وشعرت بإعجابها من كلامي، كنت أحمل فرحة بداخلي ولسان حالي يقول "لا فض فوك يا محمد".

كانت هذه هي البداية الحقيقية لانطلاقة قلبي نحو بهو قصرها، زاد الاهتمام مني بعد أن استشفيت من آخر حديث دار بيننا اهتمامها لما لدي من أفكار وفي مرة وجدت نفسي مرسلًا لها: " أخبارك؟ " فردت" بخير"، فقلت لها: "أريد المشي اليوم"، قالت "جميل! المشي رياضة جميلة"، فقلت لها: " هل لديك وقت أن نتحدث سويًا؟" فقالت "للأسف لا"، قلت لها "إن كان لديكِ وقت للحديث معي كنت سأقوم بالمشي".

وهنا حدثني عقلي "ها قد انكشف أمرك، قل لي كيف ستواجه؟" نهيت الحديث بكلمة سلام؛ تاركًا بين ضلوعى العديد من الهواجس والخواطر، تخوفت من ردة فعلها كثيرًا خاصة أني تماديت في الأمر في جملتي الأخيرة، لقد ربطت خروجي بالحديث معها وأعلم أنها ذكية وستلحظ أمري، يالا عفوية قلبي! تعلق بها لدرجة أنه لم يعد يميز عواقب ما يفضي به ويتحدث.

انتصر القلب على العقل واتضحت كل الأمور أمام عيون قلبي ووجب عليَّ أن أعترف لها بحبي، احتاج لقلب مغوار، قلب يليق بحب ملكة ويتحدى الصعاب ولا يخشى المخاوف، قلب يسير بخطى ثابتة متحليًا بعشقه وأحلامه نحو مملكتها مقدمًا لها كل معاني الحب كي ينال الأمان بين حنايا ضلوعها.

الفصل الرابع

الراوي والبطل

بدأت أستشعر أمرًا يجول بفؤادي يومًا بعد يوم بعد ما مر عليَّ العديد من المواقف التي كانت بمثابة الشظية التي أشعلت نار الحب داخل وجداني، مكثت أتساءل كثيرًا ماذا لو صارحتها وأعلنت حبي لها فلعل ذلك يكون أفضل من حالة الصمت التي تكاد تقتلني يومًا بعد الأخر، تخوفت من ردة فعلها وأصبح عليَّ الصمت كي أحافظ على وجودها في حياتي، مرت الأيام وزاد التعلق بها موقف تلو الآخر وعقلي يكذب وقلبي يصدق أمر حبي لها، ليس مجرد إعجاب عابر يختفي بمجرد الوقت، بل كان لبنة في قلعة حبي لها، بدأت الحديث معها إني أهوى الكتابة والأدبيات واكتشفت أنها ذات حس أدبي يكاد ينير عالم الأحاسيس، تبادلنا الأفكار التي تخص عالم المشاعر وفي كل مرة قلبي يدلني ويرشدني إليها ويبلغني أنها هي من تملك مقاليد حكم قلبك، أصاب أمنية

الحيرة من أمري فيما أفعل فقد كنت أخفي مشاعري داخل ضلوعي وأكتم نبضات قلبي حتى لا يُسمع ضجيج اشتياقي لها.

كنت أفكر دومًا هل تبادلني نفس المشاعر أم أنه حب من طرف واحد؟ توالت الأيام وفجأة علمت منها أنها تعاني من نزلة برد شديدة ووجدت نفسي في حالة من القلق الشديد وأرغب في أن أطمئن عليها وأدعو لها بالشفاء العاجل، كانت تطمئنني بشكل طبيعي على حالتها الصحية وكنت على وشك أن أقول لها "خذي من عافيتي ما يعينكِ على أمور دنياكِ"، لم أكن ذلك القلب الشجاع المغوار الذي يصرح عن حبه لها.

حتى جاء اليوم ورويت لها رواية لصديق لي وعن إعجابه بسيدة وعن حبه لها، استطردت في الأمر وفي وصف المشاعر التي كانت في الحقيقة مشاعري تجاهها، اختتمت حديثي لها بمقولة سيدتي "أنا الراوي والبطل"، صمتت وكأنها متعجبة من أمري فقلت لها: " أنا أحبكِ".

كم كانت صعبة أن تخرج من بين ضلوعى، انتظرت ردة فعلها وعدت إلى مخاوفى مرة أخرى، صمتت كتيرًا وهمت بانهاء الحديث، طلبتُ منها أن تلتمس الأعذار لي فقد أحببتها وتعلقت بها وكان عليَّ أن أعترف بمشاعري، انتهى الحديث بعد اعتراف منى وصمت منها.

لم أنوي أو أخطط يومًا أن أحبها كان الأمر بمحض القدر، نعم. منْ كان يصدق أنها تلك الفتاة التي حلمت بها يومًا ورسمت تفاصيلها داخل وجداني وكنت عندما استطرد في وصفها ألحق كلامي بعبارة "هذا خيال فلا يوجد شخص بتلك المواصفات، ولكني وجدتها".

بعودتي إلى ذكرياتي أتذكر تلك اللحظات التي كنت أحلم فيها بشخصية الملكة التي تحمل في تاجها الحياة وتجلس على عرش من البهاء والحسن. كانت خيال أشرد فيه وأكتب عنه حتى حدثت وإذا بي أجدها هي. نعم. هي من وصفتها وهمست عنها العديد من الأيام والليالي.

لا أعلم كيف بدأنا، ولكني أستشعر أنها تشبهني. أشعر وأنا معها أنها نصفي الآخر الذي تكتمل نفسي به. كان القرب منها أشبه بالقرب من شرفات ملكة تسكن مملكتها بكل ما تحمل معاني الشموخ والجمال.

وفي اليوم التالي أرسلت لها رسالة أسألها عن العمل. لم أكن أقصد بالطبع ذلك كنت أقصد أن أعلم مدى تأثير ما قلته عليها. عاملتني بطريقة عادية مما أثار شكوكي أكثر فأكثر.

وفي ليلة من الليالي ذهبت إلى مكتبي وفتحت مدونتي وكتبت الآتي: " إليكِ أكتب أيتها الملكة. يا من أحسن ربي خلقكِ

وزينكِ بجمال لا يُضاهى. يا من تحملين من السمات والخصال الملائكية، يا من تملكين عيونًا يخجل القمر حين تتلألأ، يا من منحكِ ربي عبقًا فاق كل الحدود، أشعر بمشاعر بداخلي تدفعني إليكِ، أمور أشبه بالغيبية يصعب علىَّ أن أجد لها تأويل، أجد نفسي أهوي القرب منكِ وأنتظر مجيئكِ، أسمع همس قلبي يتمتم باسمكِ ويهيم بكِ".

لم أعد أتحمل كل ما يجول بداخلي ثم تركت قلمي وقلت: " أنا أحبكِ".

هنا تصالحت مع نفسي وعقدت ميثاق الحب لها، تلك التي سكنت القلب متربعة على عرشه وغزلت لها من شراييني تاجًا يليق بحسنها، لا أكذب عندما أصفها بذلك، فذاك قلمي يعجز عن رسم سمة واحدة لها، صار قلبي يستشعر وجودها رغمًا عن تلك المسافات بيننا، أصبح الهاتف صديقًا حميمًا ومصدرًا للسعادة وكيف لا وهو من يوصلني بطريقها وملاذ كنفها الأنيق.

الفصل الخامس

دق قلبها

انتظرت الموعد القادم وتغمرني حالة من القلق من ردة فعلها متسائلًا: "هل ستكمل العمل معي أم أنها ستنسحب من المشهد؟".. عشت على هذا الحال يومين إلى ثلاثة حتى جاء الموعد وإذا بها تعتذر عنه لانشغالها بأمور عائلية كما قالت، دخلت في حالة شجار بين عقلي وقلبي فذاك عقلي فخورًا لما توقعه وهذا قلبي وجل من الخطوة القادمة لها ويتمنى أن ينتصر على عقلي، أرسلت لها رسالة في اليوم التالي نصها: "أخباركِ؟ لعلكِ بخير؟"... فردت: "الحمد لله، والله المستعان"، حاولت أن أسألها إذا كانت تضايقت من اعترافي بحبها، ولكنني صمت وأغلقت الحديث عند ذلك، شعرت أنه سؤال غير مدروس لذا اخترت الصمت وجعلت له أولوية عن الحديث.

جاء الموعد الآخر وتمنيت ألا تعتذر وحدث ما تمنيت. ظهرت جل أمورها طبيعية وتحدثت عن العمل فقط وتفاصيله. وفجأة

قلت لها "اعتذر لما بدر مني"، فقالت "ولما قلت ذلك؟ أرجو التوضيح"، قلت لها "قلت الصدق. استشعرتكِ فلا تلومينى، فالحب لا يعرف التأويل وعلم الأسباب. هذا قلبي وجدته يهفو لكِ. أشعر أن شيئًا بداخلي يحركني تجاهكِ"، فقالت: " وهل تعلم مَنْ أنا؟ هل لديك القدر الكافي كي تقع في حبي؟" فقلت لها "الأمر كله إحساس كما قلت لكِ. لا يعنيني منْ أنتِ، ولكن يعنيني ما يكنه قلبي لكِ".

قالت: "وهل تصدق إحساسكَ؟ ربما خانك"، قلت لها: "، لا. إحساسي صادق ويستحيل أن يخدعني، أنتِ التي كنت أرسمها وأدون تفاصيلها بين سطور كتاباتي"، فقالت: "، هل تقصد تلك الكتابات التي كنت ترسلها إليَّ..." قلتُ: "نعم، هي تلك وأنتِ الملكة التي حلمت بها يومًا."، قالت: "أراك تبالغ في الأمر وأرى أن تتوقف عن ذكر الحب بيننا ودعنا نتعامل سويًا بعيدًا عن القلوب".

شعرت بانتكاسة قلبية، ولكنِّي عدت إلى رشدي وتحدثت مع نفسي: "أكنت تنتظر أن تبادلك الحب؟ يل لسذاجتك العاطفية! كان أمرًا طبيعيًا أن تقابلك بهذا الرد".

زكيت فيها حسن تصرفها مع اعترافي لها بالحب علنًا، انتهى الحديث على ما قالت وتم الاتفاق أن أغلق باب الحديث عن

الحب تمامًا، تتابعت الأيام بيننا وفي مرة قصت لي قصة عن تعاملها مع أكثر من رسام هذا العام وأن منهم أحدًا يرسل لها رسائل عدة، رسائل ترحيب في ظاهرها، ولكن إذا قرأنا ما بنيته سنعرف أنه كان يتودد لها ويسعى أن يتقرب منها رغمًا عن انتهاء العمل بين أمنية وذلك الشخص المدعو زين، في البداية سألتني عنه وأعطيت لها رسائل تطمئنها من نيته أنه شخص كبير السن وهذه طريقته في الحديث مع كل السيدات، كنت أفترض حسن نية زين، ولكنها عندما أبلغتني أنه حاول مرة أخرى اشتد غضبي وحذرتها من زين وطلبت منها أن أجرى معها مكالمة هاتفية. وافقت وقلت لها: "ممكن حضرتك تعملي بلوك ليه؟ إحنا مش كل شوية هنقول بعت رسائل."، كانت لهجتي حادة وارتفعت وتغيرت نبرة صوتي، كانت تلك المرة الفعلية التي شعرت أني أغار عليها، لم أستطع أن أسيطر على إحساسي أو أبدي غير ما أشعر بداخلي وكان ردها عليَّ "حاضر هعمل كده".

بدأت كل يوم أجد نفسي مرسلًا لها "هل أرسل زين لكِ أي رسالة؟ "وترد وتقول" لا"، حتى جاء اليوم وقالت: "محمد! أرسل زين رسالة"، انزعجت من الأمر كثيرًا وقلت لها "هذه وقاحة منه وعليكِ أن ترسلي له رسالة توبيخ"، في الحال استجابت لنصيحتي وأرسلت له رسالة شديدة اللهجة.

لم أتمالك أعصابي ومكثت طوال هذا اليوم أحدث نفسي أني أغار عليها وظهر ذلك جليًا في ردة فعلي عندما استرجعت ما حدث إلى ذهني مرة أخرى. في البداية كنت متخوف من أن ينجلي أمري أمامها، ولكن قلبي رد في الحال: "هون عليكَ حتى وإن أدركت أمركَ، أنت تحبها وصارحتها من قبل."، فكرت في الأمر كثيرًا ووصفت نفسي بالمتهور وأنه كان يجب عليَّ أن أستجيب لعقلي وألا أستمع إلى قلبي فهي ذكية بفطرتها ومن المؤكد أنها لاحظت أعراض غيرتي.

تتابعت مواعيد العمل بيننا ومعها بدأ شعوري بالقرب منها يتزايد شيئًا فشيئًا، أما حديثنا فكان يخرج عن نص العمل ويذهب إلى تبادل بعض الأغاني ومقاطع الفيديوهات التي تعبر على لغة أيدها كلانا وهي لغة الإحساس. استنبطت من ذلك كينونتها الحسية وعن بعض من المعاناة التي تعيشها. كان هذا مجرد استنتاج استندت فيه لنغمة حديثها عندما كنا نستطرد في نقطة من ذلك العالم الخفي العجيب عالم الإحساس، استمر الوضع كذلك العديد من الأيام حب مختبئ بين ضلوعي وتعامل بطريقة صداقة منها. لا أنكر أنه أنتابتني حالة من الثورة بعض الأوقات بعنوان " إلى متى يظل الوضع كذلك ومتى ستفتح قلبها لي؟ متى ستعلن حبها لي؟ لم تكن ثقة مني، بل كان مجرد تمني عشت وحلمت به، إلى أن جاء اليوم وأرسلت إليَّ بعضًا من أوراق

العمل، ولكن كان من ضمن هذه الأوراق ورقة سقطت منها سهوًا كانت تحمل الآتي:

"لا أعلم من أين أتى لي وكيف تملك تلك الجراءة كي يتحدث معي؟ بل والأدهى أنه اعترف بحبه لي، لا أعلم ما الذي يحدث بداخلى، حاولت أن ابتعد وفي كل مرة أجد نفسي أرد جوابه وأشاركه الحديث، هل من المعقول أن يكون قلبي قد هفى له؟ لا! لم يهف له وأستطيع أن أوقف هذا الحديث، الأمر يسير للغاية".

"لا تكذبي على نفسكِ لقد تعلقتي به. أنا! بالطبع لا! لم أتعلق بأحد وكيف لي أن أتعلق، أنا فقط أجله وأحترمه هذا كل ما في الأمر، عليَّ أن أضع خطوطًا للمعاملة بيننا كي لا يتمادى. أظل يومي أتساءل ما الذي يجعله يتحدث معي وما الذي يدفعني أن أشاركه؟ لا أنكر أننى أشعر بحالة جميلة معه، أضحك وأستشعر كل الحديث. هو شخص ذكي ونجح في أن يجذبني له. لا! لم أنجذب. أنا راسخة في مكاني.

"استفيقي من هذا واعلمي أنه طريق ليس ممهد ولن أغامر وأسلكه. نعم! هذا عين العقل فلا يوجد حب وإن وجد فكيف لي وأنا لم أحبه ولن أحبه أبدًا مهما فعل مهما فعل".

سألتني "هل استلمت كافة الورقيات؟" فحاولت أن أظهر بصورة طبيعية كأنها لم ترسل لي خطأ أي ورقة من مدوناتها الشخصية. أجبت" نعم! وسأبدأ العمل عليهم"، فقالت: " محمد! ماذا بكَ؟ " فقلت: "لا شيء ولمَ تسألي؟ "فردت" ألحظ أنه أصابتكَ حالة غريبة وظهر ذلك جليًا في صوتكَ."، يا لفطنتها وذكاءها التي دومًا ما أذكر نفسي بها والتي تجعلني أرى نفسي أمامها عاجزًا عن مواكبتها بما منحها ربي من ذكاءات عدة. حاولت أن أنهى الحديث بشتى الطرق مبررًا ما ظهرت عليه أنني أعاني بعضًا من ضغوط العمل، انتهى الحديث أخيرًا وأسرعت إلى مكتبي أبحث عن مدونتي كي أفضي لها ما حدث وكتبت الآتي:

"أحقًا حدث ما تمنيت أنها فتحت أبواب قلبها لكَ، يا للسعادة التي تنتظركَ، أما أنها تنفي الوقوع في الحب وتحذر نفسها من ذلك الطريق. صرت لا أفهم شيء هل استجاب قلبها لندائي أم أنها تحشد عقلها ضد أي هوى أو ميل تجاهي. أظن أنها تعيش حالة من التناقض وتلك هي بداية الحب كما أعتقد وقد يكون ربما نفورًا من الحب نفسه".

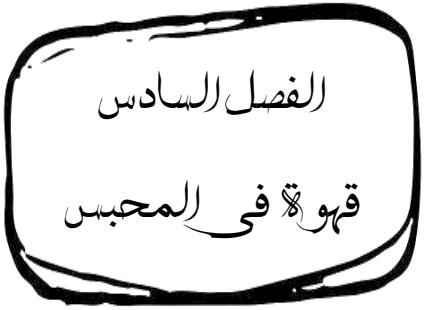

أعلم أني أثرت الفضول لديكم حين أسميت مسكني بالسجن المشدد لم أدَّعي كذبًا أو استعظم أمرًا فتلك حياتي بداخل غرفتي التي عكفت فيها دومًا على مرافقة مدونتي وأقلامي كانت الكتابة منذ البداية حلًا جذريًا للهروب من كل ما يحيط بي، فتلك الغربة التي أستشعرها من قِبل أفراد عائلتي بعد أن فقدت أبي منذ صغري والذي كان يدعمني منذ نعومة أظافري مازال صوته في أذني حين كان يقول لي: "أعلم أنك مثلي وأنك سترسم عالمًا للخيال أود أن تكون أكثر حظًا مني فتحسن لك الأيام وتحقق ما تتمنى"، واعجباه حتى أصدقائه عندما أتواصل معهم كي أسمع إلى أحاديثهم عنه يقولون لي: "أنت صورة طبق الأصل من أبيكَ كطابع وشخصية وهيئة"، أشعر بحمل على عاتقي حينما أجد نفسي أجسد تلك الشخصية التي كانت نموذجًا لي وعندما أسلك أي تصرف أرى نفسي في حيرة من الأمر وكيف لي وأنا أمثل أبي.

أما عن الأحياء الذين أسكن معهم فقد افتقدوا لمعاني الحنية وانهالوا علي بإدعائتهم أني أحتاج كمًّا من الصلابة والشدة فتلك هي الحياة من منظورهم حاولت جاهدًا أن أغير من طباعهم ولكني فشلت.

دعني أروي لك بعضًا من مشاهدهم حتى لا تصفني أني استعجلت في الحكم عليهم في مرة من المرات استدعتني والدتي قائلة: "أما آن لك أن تتزوج "، فقلت لها: "عندما يحل النصيب ويأتي بتلك الشريكة التي أرى فيها نصفها الآخر"، انهالت بالتهكم عليَّ واتهمتني بأني أتهرب من المسؤولية وأود أن أكون ذلك الحر الذي يرى في حياة الأعزب السبيل للراحة عقبت على اتهاماتها قائلًا: "لا يا أمي أود أن أكون سعيدًا في حياتي"، فأجابت: "ومن تلك المنحوسة التي كُتب لها الشقاء كي ترضى بكَ"، حاولت أن أخفي دموعي حال أن نطقت بجملتها وأن ألطف تلك الأجواء قائلًا: "سأتغير من أجلها من أجل حب أؤمن به"، فردت: "لا يوجد حب كن عمليًا فذاك أخوك الأصغر سنًا وله أربعة أبناء أنظر إلى المرآة.. اعتراك الكبر وطالت التجاعيد وجهكَ"، لم أستطع أن أصمت وإذ بعيني تبكي بكاءًا شديدًا ظننتها تلك اللحظة التي ستحتضنني أمي رأفة بحالي فإذا بها تقول: "أرجل ويبكي أحسب أن لدي ثلاث بنات"، من حديث موجع لها إلى حديث أكثر وجعًا لم يكتفي المشهد حال أمي فتلك أختي الأكبر انتهجت نفس

المنهجية وذاك أخي يتبع خطاهم حتى ظننت أني لست منهم فكيف لي وأنا بتلك المشاعر أن أُنسب إلى هؤلاء البشر المميكنين الذين لا يجدون للإحساس أي دور إلا أنه عائق عن النجاح في دروب الحياة كان ذلك مثالًا بسيطًا لما أواجه من أفراد عائلتي ولذا اخترت العزلة عنهم أقضي أغلب وقتي في عملي وعندما أعود أمكث في حجرتي أدون بعضًا من كتاباتي التي أعبر فيها عما يدور بداخلي من أوجاع وأحلام لا أحد يهتم بأمر حضوري وغيابي أصبحت مهمشًا مجرد نزيل في سجن مشدد لم يكن لي خليلًا في الدار إلا أختي الأصغر سنًا فاطمة التي تصغرني بعشر سنوات كنت أتحين الفرص كي نتحدث سويًا ولو دقائق كانت أمي تعلم أننا نشاطر بعضنا البعض في أمور عدة وما أن تجدنا نتحدث سويًا حتى تتعمد إيقاف الحديث وفي إحدى المرات سألتني فاطمة "هل من الممكن أن تجد الملكة؟"، فأجبت: "بلى وجدتها"، فرحت فاطمة فرحًا شديدًا وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وقالت: "أحقًا ما تقول يا محمد" قلت: "نعم هي الملكة وإني على شرفاتها "، فقالت: "ربنا يسعد قلبك" كان حديثي مع فاطمة هو المتنفس الوحيد لي داخل الدار وفي مرة من المرات أرسلت إلى أمنية صورة قهوة وكتبت لها: "أود أن أعرف قهوتكِ السادة"، فردت قائلة: "هذه حياتي قهوة سادة" فقلت لها: "وكيف ذلك؟! أنتِ فتاة من عائلة ونسب وميسورة الحال".. أرسلت لي ضحكة

وقالت: "وهل هذا يكفي للسلام النفسي؟"، فقلت: "بالطبع لا ولكن ما السبب؟"

كانت هذه هي المرة الأولى التي تسترسل فيها أمنية في الحديث، أبلغتني عن أبيها ومدى تعلقها به وعن حسرتها حال أن فقدته، تحدثت عن مواقف جمعتهما في طفولتهما وكيف كان يلاطفها لحد أثار غيرة أمها، وعن التحاقها بكلية الهندسة وكيف دفعته فرحته بها أن يدعو جميع الأهل والأقارب ويقول بصوت عالٍ: "هذه ابنتي"، كان يشاركها أيام المذاكرة ويدعمها طوال الوقت، بل كان دومًا يقول لها: "أنتِ بقلبي".

أعجبت من شخصية والدها خاصة أنها استرسلت في وصف سماته من الشهامة والرجولة ممزوجة بمشاعر الحنية والدفء الأمر الذي دفعني أن أقول لها: "لقد أحببتيني في شخصية أباكِ".. استأذنت منها أن ألقبها بلقب: "بنت أبويا الحاج"، استشعرت تلك الكلمة خاصة مع التشابه بين أبي وأبيها فلم يكن الأمر بالغريب عليَّ أو عليها، فرحت أمنية لذلك اللقب وعقبت وقالت: "أرى فيكَ بعضًا من خصال أبي"، شعرت بفرحة جامحة حين

لقبتني بعزيز لقلبها، اتضح من كلام أمنية أنها تعاني نفس الغربة التي أعاني منها وتتجرع مُر كأسها، حاولت أن أكون ذكيًا في توجيه بعض الأسئلة لها وقلت لها: "حدثيني عن موقف لكِ من مواقف الطفولة جمع بينكِ وبين أبيكِ ومازال عالقًا في قلبكِ وذهنكِ حتى الآن"... فقالت: "أتذكر عندما كنت في صغري وعندما يدخل أبي الدار أجري مسرعة تجاهه شوقًا له وأطلب منه بعضًا من النقود كي أشتري بعضًا من الحلوى فأهُم بوضع يدي في أحد جيوبه فكان يرد عليَّ قائلًا: "اختاري ما شئتِ"، كنت أفكر مليًا وأختار الجيب الذي أظن فيه الكثير من المال فأضع يدي في جيبه واستخرج بعض النقود وابتسم ابتسامة عريضة فإذا به يضمني إليه ويقول لي: "خانكِ التوفيق هذه المرة.. أتعلمي أن أغلب المال في الجيب الآخر؟"، لم أتوقف عند هذا الأمر لدرجة أنني كنت أضع يدي في جيبه الآخر مرة أخرى وأستخرج بعضًا من المال كي أضيف إلى النقود التي جمعتها من الجيب الأول لم يتزمجر أبي بل كان يبتسم ويقول لي" لو طلبتِ الدنيا وما فيها سأعطيها لكِ".

بكت أمنية بكاءًا شديدًا حال أن تذكرت هذا الموقف حاولت أن أهدئ من روعها وألطف الأجواء وأقول لها: "ادعُ لي فهو في مكان أفضل من الدنيا وأسأل الله أن يتغمده برحمته".. فردت قائله" اللهم آمين" لم تنكشف أسرار أمنية برمتها حتى الآن فتلك بعض المواقف التي جمعتها مع أبيها والتي تدل عن مدى

تعلقها الشديد به وعن كمية الخيبات التي نالت بها حين فقدته، ولكنه مازال يعيش بداخل قلبها وفجأة إذا بها تقول لي: "محمد أتعْلم! أبي لم يموت فإني أراه في منامي من فترة إلى أخرى بل إني عندما أشعر بظلام حالك في دنياي أراه وأنا مبصرة أمامي يوجهني بل ويلمسني ويأخذ بيدي وكأنه يظهر ليدلني إلى الطريق الصحيح"، يا لهول ما حكت أمنية كان من الصعب أن أتطرق إلى الجانب المظلم في حياتها بعد تلك الأحزان التي استفاضت بها صمتت قليلًا فإذا بها تقول: "أما عن أمي وإخوتي فإني غريبة بينهم"، لم أعقب في بداية الأمر كي أترك لها المجال كي تخرج ما بداخلها.. فقالت: "أمي شديدة للغاية، ولدت خارج البلاد في إحدى الدول العربية وما أن عاد أبي إلى مصر مرة أخرى والتحقت بكلية الهندسة وأكملت دراستي ثم رحل أبي عني بعد عامين من التخرج كنت في حالة نفسية لا أجد لها وصف، أظلم العالم من حولي، لجأت إلى أمي أحدثها: "أمي هل لكي من لطف تهديه لي".. ولكن مع الأسف بلا جدوى فهي تلك السيدة الشديدة التي اعتادت الحياة العملية حياة تعترف بالأرقام حياة يغلب عليها الجمود لا مجال فيها لعالم الأحاسيس والمشاعر تهتم بالأمور المادية وحالة الثراء التي تركها لها أبي بعد أعوام عدة من الشقاء والعناء وجمع المال كي يضمن لنا المستوى الاجتماعي الذي نرى فيه الراحة ولكن ومع تلك الرغبة الجامحة لدى أبي فإنه كان في نفس الوقت يعمل على أن يهدينا من دفء مشاعره وأحاسيسه

الكثير والكثير الأمر الذي جعله يجمع أمورًا عدة في آن واحد فتلك حياته بين أعماله ومشاغله ولكنها مزركشة بنهر من الحب والعطف والأمان والسلام خافت أمي على ميراث الأملاك التي تركها أبي لها وقررت أن تصطحبني إلى لندن حيث أنا الآن، أما عن باقي أخواتي البنات الثلاثة فقد تزوجن بمصر وضمن حياة هادئة مع أزواجهن لم يكن لدي سبيل للاختيار وسافرت معها وأنا بداخلي أشعر بأني سأبدأ حقبة من الغربة الشديدة معها وكيف لا.. فإني مغتربة في مصر فكيف سيكون الحال في أوروبا سافرت معها وذلك عامي الثاني من الغربة، غربة خارج الديار، وغربة بداخل النفس، لا يجمعني بها العديد من الوقت فهي منشغلة طول الوقت بالأعمال ومتابعة البورصة وبعضًا من المشاريع التي تملكها، حاولت مرة أن أحدثها قائلة: "أمي أما اكتفيتِ من جمع المال؟! أليس لي حق لديكِ أن تتحدثي معي وتسمعي ما بداخلي؟"... فردت قائلة: " دعكِ من هذا الهراء فالحياة عملية لا مجال فيها لهذا النوع من الخضوع والاستسلام"، فزعت إلى نفسي وقررت أن أختلي بنفسي في غربتي، انشغلت بعملي في مجال الهندسة وجعلته متنفسًا لما يضيق به صدري، أهوى سماع الموسيقى بمختلف أنواعها الأمر الذي كانت تنزعج منه أمي حتى الآن واصفة الموسيقى بأنها نوع من الإزعاج أما الموسيقى فإنها غذاء روحي والسكينة التي تحل على قلبي ووجداني".

كنت في حالة استماع شديدة لما ترويه أمنية عن حياتها ولسان حالي يقول: "اتضح الأمر الآن حياة بمذاق قهوة سادة "ولكني تعجبت من الأمر عندما شعرت كمية التشابه بين حياتي وحياتها أعلم أني لست أعيش هذا المستوى الاقتصادي الذي تنعم به أمنية فتلك أمي تتحصل على معاش أبي قليل من المال يكفي بالكاد لإدارة أمور الدار وهذا أنا الرسام الطامح الذي ينفق ما يكتسبه من مهنته في أموره الشخصية نعيش في مسكن بسيط ولا نملك تلك السيارات الفاخرة وليس لنا أي أرصدة في البنوك أما عن أمنية فتلك حياتها بين دول أوروبا ومشاريع وميراث وسيارات فاخرة دعك من العالم المادي وجمود المال ولكن إذا نظرنا إلى الأجواء ستشعر كمًّا من التشابه يصل إلى الدقة.

عقبت على كلام أمنية بكلمة واحدة "بَصرة".. فأرسلت إليَّ "ماذا تقصد؟" فقلت لها "بصرة تعني أننا صورة طبق الأصل من بعض".. فقالت: "وهل تظن ذلك حظًا؟"، فقلت لها: "نعم حينما تقابل من يشبهك فذلك الحظ"، فقالت: "تشابه في الظروف، ولكن ماذا عن الشخصيات؟" فقلت لها: "أنا شخص بسيط كما تلاحظين لا أدعي أني نموذج، ولكني تركيبة من أشخاص عدة أراني العاقل تارة والمجنون تارة والفرح تارة والبائس تارة عدة من الشخصيات في شخص واحد" فردت قائلةً: "أنتَ مكس"، فقلت لها: "نعم".

وفجأة اعتراني سؤال غريب من نوعه..؟!

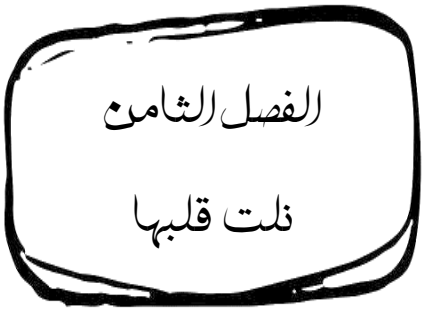

سؤال جال بخاطري حال أن تحدثت أمنية عن أمورها وعندما أدركنا سويًا كمية التشابه بين الظروف المحاطة لدى كل منا، سؤال له ألف معنى.. "أيعقل أن نقترب شيئًا فشيئًا وتتآلف قلوبنا ونستشعر الأمان والسلامة بيننا أم أن الفارق في مستوى المعيشة سيكون عائقًا في لمِّ شملنا؟" سمعت دويًا داخل عقلي وكأنه في حالة انفجار من تلك الحالة التي كنت عليها وكأنه يود أن يصفني بالمجنون حقًا، أما عن قلبي فكان في حالة ارتياح شديدة وكأنه بات حالمًا وآملًا في أن يتحقق ما أتمنى وأرجو.

انتهى الحديث بيننا دون أن أسأل سؤالي ومرت الأيام بيننا وتتابعت مرات التواصل وبدأ كلانا يعرف كمًّا هائلًا من التفاصيل عن الآخر أمور تتعلق بالحياة وأسلوبها وطبيعة العمل لدى كلًّا

منَّا وأمور أيضًا تتعلق بالهوايات وبعض الأطعمة المفضلة والملابس وبرامج التلفاز والأغاني والموسيقى، كنت أطمئن على أمنية ليل نهار زادت ساعات التواصل كنت عندما أستفيق من نومي وافتح عيني أرسل لها رسالة قائلًا: "صباح الخير استفيقي حان وقت عملكِ" فترد قائلة: "صباح النور لقد استيقظت على رسالتكَ" كنت أشعر بإحساس يجول بداخلي وكأنها بجانبي وأنا أداعب رأسها قائلًا: "استفيقي أيتها الملكة أود أن أبصر نور عيونكِ"، لم يكتفِ الأمر عند مجرد الصباح، بل كنت أتابعها طوال اليوم في عملها فكانت تروي لي عن تفاصيل دقيقة تخص عملها وعن مساعدتها في العمل كانت تروي أيضًا عما تفعله عقب الانتهاء من عملها كان التواصل بشكل يصل إلى درجة المعايشة أصبحت أمنية تتعايش معي في كل خطوة أخطيها في حياتي وصرت رفيقًا لها في دروب حياتها المفعمة بمشاهد الغربة، فطالما كانت أمنية تستحسن حديثي وتصفني بأني ذو روح مرحة كنت أروي لها قصصًا مضحكة كي أستمع إلى صوت ضحكتها بداخلي كنت أتغزل بها دومًا وأحدثها عن جمالها وأناقتها وعن حسنها وعن بريق عيونها وما تحويه من أسرار وما كان لسانه حالها إلا أن تقول: "أراكَ تبالغ فأنا شخصية عادية" وكان ردي عليها أنتِ الملكة في كل شيء ".

حتى جاء اليوم الذي مازلت أتذكره حتى الآن وكنت خارجًا من مرسمي وكعادتي بعد انتهاء العمل كنت أجري معها مكالمة هاتفية كي أستمع إلى صوتها وأحدثها عن يومي وتحدثني عن يومها وجدت نفسي أقول لها بصوتٍ عالٍ: "أنا أحبكِ".. وفجأة سمعتها تقول "وأنا أحبكَ". أصابتنى دهشة وحيرة وقلت لها "أحقًا ما قلتِ؟"، صمتت وضحكت بعدها وقالت: "قلتها على سبيل الخطأ"، فكان ردي لها: "حتى وإن كان على سبيل الخطأ فسأكتفي بهذا"، أمضيت باقي المكالمة أتحدث عن هذا الموقف عن اعترافها لي بالحب كانت كالفراشة محلقة في سماء الأحلام تضحك فتنشر عبير ضحكتها بين أركاني.

انتهت المكالمة وكنت مصرًا على جملتها قائلًا لها: "الآن اعترفتِ بحبكِ أيتها الملكة".. ابتسمت وقالت: "فعلتها.. نعم فعلتها ونلتَ قلبي".

كان يومًا خاصًا، شعرت بفرحة عارمة بداخلي ولذا قررت الذهاب إلى مرسمي ورسمت تاجًا وكتبت بجواره: "دعيني أتوج رأسكِ يا الحبيبة"، مرت الأيام بيننا وزاد التعلق بشكل واضح تشاركنا كل شيء تفاصيل اليوم أحاديث للماضي وأفراح وأحزان وأشواق وأحلام كنت دومًا ما أقول لها: "اتوحشتكِ" كانت تخجل خجلًا شديدًا، كنت أطلب منها أن تقول لي؛ ولكنها كانت تلك الرزينة العاقلة التي تتعقل كافة مشاعرها وفي نفس الوقت لا

تود أن تغلق باب اشتياقها فتعقب قائلة: " قلتها مرة واحدة وهذا يكفي"، صار المزاح ضيفًا دائمًا بيننا فكُنَّا نضحك كتيرًا وفي عز تلك الضحكات والمسرات حدثت أولى محطة للفراق.

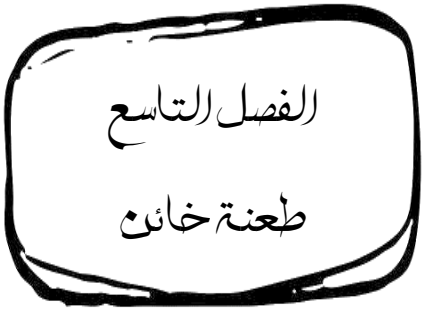

اتضحت السعادة على وجهي، بل وملأت كافة حياتي سعادة بحب ملكة.

دعني أروي لك مصدر الطعنة وما آل بنا، وفي إحدى الأيام وكانت ذكرى يوم ميلادي أرسلت إليَّ أنها قد طلبت لي هدية من نوع خاص كانت هذه أول مرة استقبل فيها هدية لعيد ميلادي وعن أي هدية اتحدث فتلك من الملكة شعرت وكأن السماء تمطر أهازيج البهجة عليَّ، تقابلت مع أحد الأصدقاء.. صديق كنت أظنه أخًا لي، يُدعى خليفة كنت قد تحدثت مع أمنية عنه أنه صديقي المقرب، بل وأنه أخ لي استحسنت أمنية الأمر لما كنت أرويه عنه من سماته وصفاته لدرجة أنها قالت: "أود التعرف عليه فيبدو أنه شخص محترم"، ولكن حدث ما لم أحسب عواقبه،

تحدثت معه عن قصتي مع الملكة وعن عشقي لها استمع لي في البداية وقدم العون لي.. عون مزيف وخبيث ولمَ أقول هذا؟ فبعد أن عرف خليفة العديد من أسراري الداخلية إذا به يتواصل مع أقارب أمنية هنا ويفضح سري وفجأة وجدت أمنية تقول لي: "علينا أن ننهي تلك القصة"، لم أعرف السبب من البداية فقلت لها: "لمَ تقولي هذا؟" قالت: "هذه القصة مستحيلة، فأمي لها شروط معينة في زوجي وأنت شخص غير مناسب بالنسبة لها: "، قلت لها: "أنا أحبكِ ولا أستطيع أن أعيش بدونكِ".. مالت الشكوك تجاه خليفة وشعرت أن في الأمر شيء، توجهت إليه بسرعة وقلت له: "خليفة! أمنية تنوى الرحيل وعدم استكمال القصة، فقال لي: "هذا عين العقل فلن تكون من نصيبكَ"، فقلت له: "اختلف كلامكَ في البداية كنت تدعمني وتقول لي ستكون زوجًا لها في يوم من الأيام ما الذي غير الحال؟" تحدثت معه كثيرًا حتى وصلت بشكوكي إلى درجة اليقين وقلت له عبارة صريحة: "أنت خائن"، وإذا به يعترف بما فعل ويقول: "نعم تواصلت مع أحد أقاربها فهو صديق لي"، اشتد الأمر بيننا وتعالت الأصوات وصرخت فيه قائلًا: "استكثرت عليَّ فرحتي فبعثرت بأوراق سعادتي؟" قال: "لا لم أفعل هذا، عد إلى عقلكَ لا قلبكَ"، قلت له: "لا يعنيك هذا الأمر هذا أمري وشأني كنت صديقًا وحسبتك أخًا، ولكن من اليوم انتهى كل شيء".

عدت إلى داري تبدلت الحياة، اجتاحت الأحزان قلبي وأخرجت هاتفي وحاولت أن أتواصل مع أمنية ولكنها أغلقت كل سبل التواصل في وجهي حاولت أن أستخدم أرقام عدة ولكنها كانت كما هي على موقفها وفي إحدى المرات قالت: "محمد! لقد انتهت القصة بالفعل وخليفة يتحدث الصواب القصة مستحيلة "قلت لها لا ليست مستحيلة".. قالت: لا، أغلقت الحديث واستمرت الأيام الصعاب يومًا تلو الآخر رافعًا راية الأمل في أن تعود إلى قلبي مرة أخرى وبدأتُ التواصل معها من أرقام مختلفة وهواتف عدة لعلها تجيب مرة وفي إحدى المرات قلت لها بصوت مرتفع: "أمنية أنا حرفيا بموت"، كان رجاءًا لها بالبقاء فإذا بها تقول: "وأنا أموت أيضًا"، حل الصمت بيننا فقررت أن أقاوم تلك الخيانة ولا أستسلم.

عادت أمنية وإن كانت بشكل متحفظ تتحدث معي القليل والقليل وبالتدريج عدنا إلى ما كنا عليه من التواصل بشكل دائم وكان مطلب أمنية: "محمد! استكثر صاحبكَ عليكَ السعادة فهم بإفساد الأجواء بيننا، عليكَ أن تحفظ لسانكَ"، قلت لها: "لقد أخطأت"، نعم لم تكن تلك الفترة سهلة علينا خرجنا من طعنات الخيانة التي نالتنا وبعدها إذا بأمنية تنال نصيبها من الخلافات مع والدتها معلنة التمرد أصابت الغربة صحتها ونفسيتها فإذا بها تعلن إعلانًا صريحًا بداخلها وخارجها.

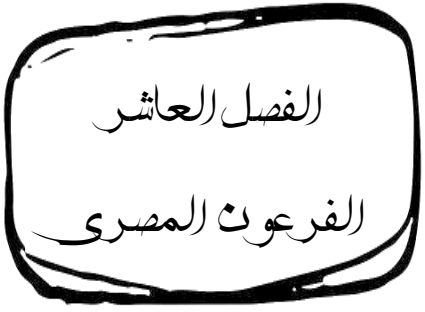

نعم أعلنتها أمنية قائلةً: " زادت الضغوط عليَّ وأشعر بغربة شديدة وأود أن أنهي عملي هنا في لندن وأعود مرة أخرى إلى مصر حاولت من قبل تلك المحاولة، ولكني فشلت"، شعرت من كلام أمنية أنها تمر بضغوط عديدة وأن الأوضاع قد ساءت بدرجة ملحوظة فسألتها: "هل درست الأمر جيدًا"، فقالت: "نعم سأنهي كافة أعمالي هنا وسأبدأ شركة جديدة في مصر كي أنعم بالأجواء الدافئة هناك لقد اختنقت مما تمارسه أمي عليَّ"، أعلم ما تكنه أمنية بداخلها وهذا ما قرأته من كلامها عضدت رأيها وقدمت العون لها في أن أكون حافزًا لها أن تعود إلى مصر وتبدأ شركتها الجديدة واجهت أمنية العديد من الصعوبات خاصة وأن والدتها كانت ترفض الأمر تمامًا عكفت والدتها على وضع كل العراقيل أمامها كي لا تتمكن من العودة إلى مصر وهددتها بحرمانها من

ميراث أبيها تارة ومن قطيعتها تارة أخرى كانت أمنية عازمة النية على تحقيق ما انتوت إليه في بداية الأمر ومع تصاعد تلك الممارسات من قبل والدتها نال أمنية الاستسلام وفي إحدى المرات أرسلت إليَّ رسالة قائلة: "محمد أبدو أني أضعف مما ترسمني داخل مخيلتكَ وأن الواقع أقوى من طموحاتي سأستمر في الحياة هنا "، حاولت تهدئتها ورسم خيوط الأمل من جديد ولكنها كانت في حالة خنوع تامة، لم يكن هذا بمحض اختيارها بل كان استجابة لكم هائل من الضغوط المحاطة بها لجأت إلى اللين في مرة وإلى تعنيفها والشد على يدها مرة أخرى وإذا بي أرسل لها قائلًا: " لا تكوني ضعيفة أعلنتِ القرار وعليكِ الاستمرار ستكون الأمور بخير هنا في مصر أنظري إلى حالتك في تلك الغربة كما أسميتها أنظرى إلى صحتكِ ونفسيتكِ وما ألم بكِ نتاج ما تحملتي"، استجابت أمنية لي وكان هذا من حسن حظي وبدأت تحارب وتواجه مرة تلو الأخرى أعلم أنها كانت تعاني معاناة بالغة حتى وإن كانت تخفي ذلك الأمر كي تظهر لي أنها قوية وأنها تستطيع حتى أتى اليوم وإذا بها ترسل رسالة لي قائلةً: "محمد سأقدم إليكِ"..

يا لحظي السعيد ستأتي الملكة إليَّ لم تقل أمنية سآتي مصر وكأني أنا الوطن الذي ستسكن إليه أود أن أكون ذلك الموطن الذي تشعر فيه بالراحة بعد هذا العناء الذي قاست مرارته وتجرعت نكباته عمَّ الفرح مدن قلبي وقلت لها: "أحقًا ما تقولين أيتها

الملكة"، قالت "نعم وهذة تذكرتي في يدي سأعود إليكَ يا محمد" تواصلت مع أمنية خلال ساعات السفر من وقت تجهيز الحقائب إلى ذهابها إلى المطار حتى استقبلت منها مكالمة هاتفية من مطار القاهرة قائلة لي "تعمدت أن تكون أولى المكالمات لي في مصر لكَ وأن يكون أول صوت اسمعه هو صوتكَ".. رقص قلبي فرحة وقلت لها "فعلناها سويًا دعينا نحتفل وها أنا الفرعون المصري جاهز للاحتفال" كانت فرحة كطفلة تستجمع بعضًا من الدمي بين يديها عادت إليَّ الملكة ومازال هناك سؤال يجول ببالي بعد أن حققنا أولى الخطوات وهو: "هل ستحسن لنا الحياة ونعيش سويًا تحت سقف واحد أم أنه كان انتصارًا مزيفًا وسيأتي الواقع كي ينهال بالطعنات علينا؟! هل هو نصر يزف البشرى لنا أم أنه فرحة تحملها ريشة وستعصف بها الحياة فى مهب الريح"؟

الفصل الحادى عشر

عقد قرآن

عادت الملكة إلى مصر وكان كل ما يشغل بالي أنني ألتقي بها وأن أنظر إلى عيونها عيون كعيون المهى تخرج أشعة النور من مقلتيها ذات اللون البني أرسلت لها قائلًا: " أود أن أراكِ" فردت قائلة: "أخشى أن ينكشف أمرنا، ولكني أود أن ألقاكَ أيضًا".

وفي أحد الأيام أبلغتني أن صديقتها دعتها كي تحتسي فنجان من القهوة بصحبتها في إحدى الأماكن فقلت لها "إذًا سأكون متواجدًا هناك كي أراكِ"، فردت قائلة: "بس خد بالك مش عايزين حد يلاحظ"، تزينت كعريس في ليلة الزفاف وذهبت إلى المكان إحدى الكافيهات كنت جالس أتناول قهوتى السادة وفجأة ظهرت الملكة ابتسمت لها ابتسامة عريضة فارتسم على محياها نفس الابتسامة جلست مع صديقاتها على طاولة بالقرب مني كانت أمامي فكنت أسترق النظرات من عينها وأرسل لها رسائل متغزلًا

بحسنها وجمالها أنعكس كلامي على وجهها خجلًا واحمرارًا طلبت منها أن أن تترك صديقتها وتتحرك قليلًا بعيدًا عنها حتى أتمكن من مصافحتها فإذا بها تقول: "الأمر صعب وأخشى أن ترانا"، فقلت لها: "هناك صالة ملحقة بالمكان بعيدًا عن هذا المكان اذهبي وسأكون هناك"، قرأت رسالتي ولم تجب ظنت أنها تفكر تفكيرًا كثيرًا فقد كانت تخشى أن تلحظ صديقتها وبعد دقائق قلت لها: "هلمي أود أن ألامس يدكِ"، تحركت وسمعتها تقول لصديقتها: "سأدخل بالداخل أود أن أتفقد المكان"، فإذا بصديقتها تقول: " هل لي أن أرافقكِ"، شعرت أن خطتي كلها فشلت ولكن أمنية أجابت بطريقة ذكية قائلة: "خليكي هنا وأنا هروح لوحدي"، وبالفعل دخلت أمنية وقمتُ من مكاني وتحركت وإذا بي أرى نفسي أمامها تلعثم لساني ومكثت أحدق عيني في عينيها وقلت لها: "حمد لله على السلامة يا ملكة"، فردت قائلة: "الله يسلمك محمد عليَّ أن أعود مرة أخرى إلى صديقتي أخشى أن تأتي الآن"، مددت يدي كي أصافحها فمدت يدها وإذا بقلبي يتمتم لها بأجمل معاني الاشتياق والحنين قلت لها: " أنا أحبكِ" فردت "عدت إليكَ وأنا أمامكَ الآن" فقلت لها "أودكِ في كنفي وأن تصيري زوجتي"، كان للكلمة -كلمة زوجتي- أثرًا جليًا على أمنية فإذا بها تقول" وأنت رجلي"، همت أمنية بالانصراف وعادت إلى مكانها انتظرت قليلًا بالداخل ثم عدت إلى مكاني ومنه إلى الانصراف من المكان، حاولت في تلك الليلة أن أحتفل بأول

إعلان رسمي بالزواج وإذا بي استخرج هاتفي وأكتب إليها: "أود أن أتزوجكِ سألتقيكِ غدًا في مرسمي أحضري بعضًا من الأوراق كي نكتب عقد الزواج سويًا وسأذهب الآن واشترى خاتم الزواج لكِ وعليكِ أيضًا أن تشتري لي خاتمًا كي أزين به قلبي قبل أصبعي".

أجابت أمنية قائلةً: "أجننت؟"، قلت لها: "نعم جننت وعليكِ أن ترافقيني في جنوني"، كانت تلك المرة التي أشعر فيها أن الواقع بات في سبات عميق وأفسح لنا المجال كي نقترب شيئًا فشيئًا نسقنا كافة الأمور فيما يتعلق بمقاس خاتم كل منا وأتت إليَّ في مرسمي استقبلتها استقبالا حارًا وكان أول سؤال لي" أين الورق؟" كنت أعلم أنة أمر جنوني لا علاقة له بالواقع أو الحقيقة فهو مجرد خاطرة جالت بفكري، أخرجت أمنية الورق من حقيبتها وبدأت بكتابة الآتي:

عقد قران

اسم الزوج: محمد حسن جوّاد

اسم الزوجة: أمنية أحمد عمر

الشهود: الخيال والشمس والقمر

القسم: أقسم أمام الله أني سأفعل أقصى ما لدي كي تسعدي في حياتي أيتها الملكة

قلت لها: "هل لكي أن تستكملي باقي البيانات في العقد فأنا أعلم أن لك خطًا أفضل مني وبالفعل بدأت أمليها باقي عقد القرآن.. كانت تكتب وهي تبتسم وتقول لي من آن لآخر "أنتَ مجنون "وبعد أن انتهت أخذت العقد وقعت عليه محمد حسن وأخذت القلم كي ألون إصبع الإبهام وقمت بترك بصمتي، طلبت من أمنية أن تفعل كذلك وبالفعل فعلت.

انتهت مراسم الزواج بيننا أخذت أمنية الورقة بعد أن عطرتها من عبقها ثم وضعتها في حقيبتها وقلت لها: "هذه يدي أمامكِ أيتها الملكة حان وقت أن تتوجيني رجلا لكِ"، استخرجت الخاتم والبستني إياه في إصبعي وأخذت خاتمها من حقيبتي ولمست يدها وألبستها خاتمها شعرت وكأن السماء تبتسم وكأن الشمس تضيء لنا وكأننا اختلقنا عالمًا فريدًا لنا.

عدت إلى داري وبداخلي أحلام جميلة أن تكون أمنية زوجتي دخلت مسرعًا إلى غرفتي كي أستكمل في نفس حالتي المزاجية التي كنت عليها حين لامست يد الملكة وأعلنا الزواج سويًا وبدلًا من أذهب إلى مدونتي كي أكتب فيها إذا بي أخذ قلمي وأكتب على جسدي تحديدًا على قلبي النابض كتبت اسم الملكة أمنية التقطت صورة لي وأرسلتها لها فقالت: "أمازلت في حالتك الجنونية التي كنت عليها؟"، قلت لها: "نعم، أنا المجنون الذي عشق الملكة وبات يهيم في فضاء حبها".

قالت: " مهلًا يا محمد عليك أن تهدأ وتستريح أرى أن الوقت تأخر ولديكَ عمل أودكَ أن تأخذ قسطًا كافيًا من النوم وتستريح" قلت لها: "أود أن أعيش في أثر تلك اللحظة التي كنتِ بين يدي" قالت: "والعمل" قلت لها: "لا يعنيني"، قالت: "والنوم" قلت لها: "مرافقتكِ تكفيني، بتنا نتحدث ساعات حتى الفجر فإذا بها يحل النوم عليها وتقول "أم اكتفيت؟" فأجبت قائلًا: " لا أيتها الملكة لم أكتف منكِ ولن أكتفي" فقالت: "محمد هل لنا أن ننام؟"، فقلت لها: "لكي ما تقولي، ولكن هل لي أن أجري مكالمة هاتفية معكِ الآن" فأجابت: "سأنام بالفعل" فقلت لها: " أعلم أنكِ ستنامين أود أن أسمع همس أنفاسكِ" وافقت أمنية ومكثت حتى حل النوم عليَّ وأنا أستمع إلى أنفاسها وكأنها تخترق أحشائي نامت الملكة وبت أتمتم بكلام لها فقلت: " أنتِ معي الآن اطمئني وارتاحي لا غربة اليوم أنتِ في كنف رجلكِ؛ رجل أحبكِ حقا".

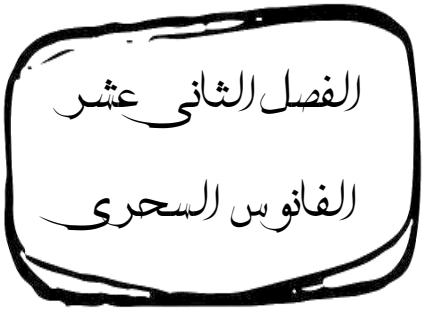

ظلت الأمور تسير بشكل طبيعي نتعايش كافة تفاصيل اليوم ونتقاسم الحب سويًا كنت أتحين الفرص كي أحتفي بمولاتي حتى جاء يوم عيد الطفولة وإذا بي أرسل لها رسالة" كل عام وأنتِ بخير يا طفلتي الجميلة"، صمتت قليلًا ثم قالت: "أمازلت طفلة؟" قلت لها "نعم! أنتِ طفلتي التي تتسم بكل حيوية وبراءة الطفولة"، لا أبالغ حين أنعتها بالطفلة فإني أجد فيها نسائم الصفاء ممزوجة بنقاء قلبها.

ذهبت إلى إحدى المتاجر كي أشتري لها دمية احتفالًا بيوم الطفولة لم أخبرها في بداية الأمر عن ما نويتُ، وتعمدت أن تكون مفاجأة لها، وبعد قليل أجريت مكالمة هاتفية معها وقلت لها: " لقد أرسلت إليكِ شيئًا ما." فقالت:" محمد! ماذا أرسلتَ؟" قلت لها: "ستعرفي"، قالت: "محمد! لا! أود أن أعلم الآن." قلت لها

"بمجرد أن تصل إليكِ سأرسل لكِ صورة بها." قالت: "لا أحب المفاجآت وأنت تعلم ذلك." ابتسمت وقلت لها "ستصل الآن."

أنهيت المكالمة كي أتابع وصول الهدية إليها وبعد أن علمت بخبر وصولها أرسلت لها صورة الهدية وكانت دمية لشخصية كرتونية تحبها وبعدها أرسلت لي" أنا الطفلة بين يديكَ أفزع إليكَ من هول واقعي فأرى بين يديكَ الأمان"، شعرت بدفيء كلامها فقلت لها: " أحبكِ كما أنتي بعنفوان شبابكِ ورونق طفولتكِ"، ومن حسن حظي أنها كانت تمتلك قميصا عليه نفس صورة الدمية فإذا بها تلتقط صورة لها وتقول" أرى أنكَ دجال ماهر"، فأجبتها "دجال! لا أنا أستشعركِ هذا كل ما في الأمر"، كان يوم مبهج نجحت فيه أن أرسم ابتسامة في مدونة قلب الملكة وهذا ما جعلني أشعر بفرحة جمة.

ظلت المواقف تتابع ويزيد التعلق بيننا كنا كزاجل حمام يحلق عاليًا في السماء كان لأمنية حنين للثقافة المصرية بما فيها من أطعمة ومشروبات وفي إحدى المرات حدثتني عن دعوة كانت من أيام قليلة من صديقة لها لتناول أطعمة شعبية وصفت الطعام بالتفاصيل وعن سعادتها وقت إذن نسقت كافة الأمور لإعداد تلك الأطعمة التي تشتهيها وخرجنا سويًا وتناولنا وجبة الإفطار شعرت أمنية بالفرحة والسعادة حال أن أبصرت عينها الطعام قالت: " أنتَ إيه كل حاجة أتكلم عنها تعملها"، فقلت

لها: " أنا الفانوس السحري تمني كيف تشائي يا مولاتي. "كنت أراقب حديثها وأدون كل ما تشتهيه نفسها كانت لا تقولها أو تعلنها مباشرة، ولكني كنت أقرأ ما الذي يحتويه حديثها وفي مرة من المرات حدثتني عن الشوكولاتة وعن أنواع مفضلة لديها، ولكنها عقبت كلامها وقالت: " محمد! لا تحضر شيئًا هذه المرة أسمعت؟" قلت لها: " لا! لن أحضر شيئًا اطمئني. "

وبعد أن انتهى الحديث بدأت باستخدام متصفح الإنترنت كي أجمع المعلومات الكافية التي تعينني على شراء الأنواع المفضلة من الشوكولاتة لديها. اتضحت الصورة بذهني فذهبت إلى المتجر وانتقيت الأصناف التي يميل لها قلبها وبالفعل استجمعت الشوكولاتة وطلبت من البائع أن يجعلها في باقة معطلة من الورود هدية تليق بملكة هذا ما عزمت نيتي عليه تم إعداد الهدية على أكمل وجه وإذا بي أرسل لها رسالة قائلًا: " هل لي أن أرسل لكِ شيئا؟" فأجابت: "محمد! قلت لك مرارًا وتكرارًا كفاكَ هدايا توقف من فضلكَ" علمت بوصول باقة الشوكولاتة إليها فأرسلت لي قائلةً: " هذه هي أول مرة استقبل هدية من هذا النوع أكاد أعجز عن وصف سعادتي. "فأجبت" وأنا خُلقت كي أنقش البهجة في حياتكِ"، سألتها عما فعلت حين استقبلتها فقالت: " أسرعت إلى حجرتي واحتضنت الورود وقمت بحركة بهلوانيه بالدوران حول نفسي ثم التقطت صورة لها كي أخلدها"،

أرسلت أمنيه الصورة لي فعم قلبي الفرح فرح من نوع خاص فكما ذكرت سلفا أني أتحين الفرص كي أرى بسمتها تضيء الكون فتنعكس على محياها

زاد اشتياقي إلى أمنية يومًا تلو الآخر وموقفًا تلو الآخر كنت أتوق إلى الحديث إليها والنظر إلى عينيها إلى لمسة يدها إلى دفء حضورها حتى أنني كنت أطلب منها أن تضع يدها على هاتفها فأقوم بوضع يدي على هاتفي واستشعر حضورها يجول في صدري كانت ذاتي تحدثني" أجننت؟" فأجيب قائلًا: "توقفي أيتها النفس لا تزعجيني أود أن أجعل قلبي قصرًا لمولاتي لا أمتلك المال حقًا، ولكنني أمتلك قلب يضاهي أفخم قصور العالم قلب يليق بعشق ملكة. "

لم يكن الحديث بيننا عن العشق فقط، بل كان مليء بمواقف المزاح أذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر فقد كانت أمنيه تميل إلى لهجة كلامي وكيف لا وأنا تنحدر أصولي من قرية ريفية فتقول لي عندما أبدأ الحديث معها بتلك اللهجة الريفية "محمد! علمني منها أريد أن أصبح مثلكَ"، فإذا بي أجيب عليها "هذه دروسًا باهظة الثمن"، وأبدأ بتعليمها بعضًا من الكلمات الريفية. أتذكر حديثها عندما كانت تقول لي "محمد! كنت في صغري خلال إجازتي في مصر أذهب إلى بعض الأقارب والأهالي خاصة عندما كانت تجمعنا بعضًا من الاحتفالات كأعياد وحفلات

للزواج كنت وقتها صغيرة وكانوا يعلمون أني لدي القليل من الثقافة الريفية فكان الكل ينهال عليَّ من النساء كي يبدأن بتعليمي بعضًا من أغاني الأفراح الريفية ولكَ أن تتخيل أني كنت أجيدها إجادة متمكنة تتابعت مرات حضوري حتى أتقنتها لدرجة إني كنت أضاهي بها البارعات منهم فكان النسوة يجتمعن من حولي ويقولون لي "هل لك أن تبدأي في الأغاني؟" فأبدأ وأغني بصوتي فإذا بهمن يستحسن أدائي ويقولن "نراكِ تتحسني مرة تلو الأخرى نظن الآن أنك مصرية خالصة وريفية أيضًا. "كنت أبتسم ابتسامة عريضة حال أن قصت أمنية تلك القصة المرحة فأردت أن اختبرها وأمتحن ذاكرتها فقلت لها "أراكِ تبالغين في الأمر هل لكِ أن تذكر لي بعضًا من تلك الأغاني الريفية التي كنتِ تؤدينها في صغركِ أعلم أنها كانت منذ زمن بعيد أصدقكِ ولا أكذبكِ، ولكن دعينا الآن نتبارز ستقولين لي اسمًا وأجيب باسمٍ من تلك الأغاني"، وبدأت المبارزة وكانت مناقشة شرسة بدأت أمنية وذكرت اسم لأغنية فتعجبت من أمرها وحين جاء وقتي ذكرت أغنية وقلت لها "الآن دوركِ"، فأجابت " أنا جاهزة هل لديكَ ورقة وقلم كي أمليكَ قائمة من الأغاني. "وبالفعل بدأت بذكر عدة من الأغاني. "يا لتلك الملكة العجيبة كيف تجمع كل هذا في آن واحد ملكة أنيقة تجمع معاني الطيبة والعطاء والعطف والحنية والبراءة والصفاء امرأة متحضرة ذات ثقافة عربية وأجنبية وريفية وكأن لسان حالي يقول لي من أين أتيتي أبشرية أنتِ؟

الفصل الثالث عشر

حلم وعلم

وفي يوم من الأيام وكعادتي أرسلت لها "صباح الخير."، فإذا بها تطول الغياب انزعجت من أمرها وبعد بضع ساعات أرسلت لي"محمد لقد حلمت حلمًا مفزعًا بالأمس"، حاولت تهدئتها وأن أخذ الحديث بيننا إلى منحنى آخر، ولكنها عادت وقالت "سيحل الفراق بيننا يومًا ما. "

تعجبت من أمرها خاصة أن صوتها كان يحمل شجنًا ونبرة حزن واضحة فقلت لها: " من أين علمتِ ؟"قالت "رأيت بالحلم أن افترقنا وضل كلانا الطريق."، حاولت جاهدًا أن أقنعها بطرق شتى أنه هذا مجرد حلم ولكن سيطر الحلم بل والأحرى الكابوس عليها وظلت طوال اليوم تحدثني عن تفاصيله أنها رأت نفسها تبكي وفي مستنقع من الطين أما أنا فرأتني مقيدًا بسلاسل عدة

حالت دون وصولي إليها أصابتني الدهشة من حديثها وانتابتني حالة من القلق الشديد تجاه ما تقول حل الصمت علينا حتى نهاية اليوم وإذا بها ترسل رسالة" أرسلت أمي رسالة تبلغني أنها ستصل إلى مصر غدًا تعلم جيدًا كم الفجوة بيننا وذاك ما أثار غضبي فقد كنت اعتدت على الحياة بمفردي لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أنها لمحت عن حديث دار بينها وبينه أحد أقاربنا عن علاقتنا يبدو أن المدعو خليفة قد دس سمومه كي يحدث الفرقة بيننا"، شعرت أني قد فقدت الحركة لدقائق معدودة ولم أستطع أن أكتب لها شيئًا فإذا بها ترسل لي لقد تعقدت الأمور ويبدو أن الحلم سيصير حقيقة سعيت في أن أجد مخرجًا لهذا الوضع المظلم الذي ألم بنا وقلت لها "دعينا لا نستعجل الأمر علينا الانتظار." فأجابت قائلة انتظارًا للموت. محمد أنت لا تعلم أمي جيدًا أشعر أنها تُجمع أمرها ضدي." حاولت أن أهدئ من روعها، ولكني كنت متيقن من مدى صعوبة الفترة القادمة وجاء الغد حاملًا لنا كم من المخاوف التي أصابت مصائرنا اختفت أمنية طول ذلك اليوم أرسلت لها رسالة كي أطمئن عليها "كيف هي الأمور؟" فقالت: " تبدو هادئة فمنذ وصولها وهي تتعامل معي بشكل طبيعي لم تتطرق إلى الأمر من قريب أو بعيد"، ظننت أن ذلك فأل حسن ولكن أمنية وضحت لي بعضًا من طبائع أمها وأنها تلك الشخصية التي تحترف أمور المراوغة والخداع بدأت أمني النفس أن يخيب ظن أمنيه فيما تعتقد وتقول حتى جاء اليوم

وكان بعد انقضاء أسبوع كامل من هدنة قطعتها والدتها كي تعلن حربها الشرسة ضدنا فبدأت بأمنية وأخبرتها أنها وصلها معلومات تصل إلى درة الدقة عن علاقتنا وبدأت بدورها بفرض القيود عليها فيما يخص جل أمورها كانت أمنية محقة فيما روت عن أمها من قبل انقطعت أخبارها ولم تعد تقرء رسائلي خشيت أن أدق على هاتفها كي لا يزداد الأمر سوءًا لا أنكر أني كنت أشفق عليها وعلى حالتها ولكن كنت أوجه سيلًا من اللوم والعتاب لها وكان لسان حالي "أوقن أني أحبكِ وأنكِ تحبيني وأن علينا الزواج. "وفي أوقات أخرى أتعقل الأمور وأحاول أن أتريث في حكمي عليها خاصة وأن والدتها كانت ترفض الأمر جملة وتفصيلًا وترى أني غير مناسب لابنتها وكيف لا وهي ذات الحسب والنسب والمال والجاه أما أن فذاك الشاب الذي يعيشه يومًا بيوم ظل الوضع مدة تعادل الشهر وأكثر وأنا ما زلت على حالي أرسل رسائلي فما من إجابة منها كنت أقضي بعضًا من وقتي داخل مكتبي كي أختلي بنفسي وأسكن إليها فأبدأ سماع صوتها بداخل تبكي وتصرخ يا لتلك الصورة مازالت عالقة في ذهني حتى الآن حاولت أن أكذبها وأن أرى أملًا للغد كنت أعيد نفسي لخلوتي مرة أخرى ولكن مع الأسف كنت أرى أمنية في مشهد أسوأ مما رأيتها عليه من قبل كنت أرى النار تلتهم ثوبها ويحيط بها غرابيب سود أصبحت كافة سبل السعي للاطمئنان عليها مغلقة حتى ذلك الخيال الذي

كان دومًا ما كنت أستعين به فقد ناله من سوء الطالع الذي نال بنا.

بات الأمر شديد الصعوبة، بل وصل إلى درجة المحال وكان لسان حالي" أين أنتِ يا أمنية؟ "حاولت أن أنشغل بأمور عملي، ولكني فشلت فهي تسكن بداخلي وترافقني ليل نهار أحيانًا يحل عليَّ الشوق لها فتذرف عيوني دمعًا ويأن قلبي اشتاقًا لها.

مرت الأيام وأنا على حالي شوق فشوق إلى الحبيبة وتدوين لتلك الذكريات التي دارت بيننا في رواية أبطالها أنا وهي والواقع كنت أمني النفس أن ننتصر في نهاية الرواية، ولكني أصبحت الآن وأنا أكتب إليكم مقيدًا رهينًا للواقع منتظرًا أن تبتسم الحياة لنا ونلتقي سويًا من جديد.

وفي مرة من المرات قدُم إلي صديق لي وهو رسام أيضًا يُدعى هاني كان فأل حسن بالنسبة لي أتذكر في الماضي عند بداية احترافي العمل وكان ذلك منذ عشرة أعوام تعرفت عليه وقال لي نصًا "ستكون من الرسامين الثقال في يوم ما"، لم يكن صديقًا مقربًا لي كما هو الآن ولذا تعجبت من قوله وقلت له" هاني! كيف لكَ أن تحكم عليَّ وأنتَ لا تعرفني"، فرد قائلًا: " أرى في وجهكَ شيمًا من شيم المبدعين. "ومن وقتها وأنا أرى في هاني ذلك الطيف الذي يجلب الحظ لي.

قدُم إلى مرسمى وكان بحوزته مجموعة من الأوراق دخل المرسم وقال لي "محمد! أحمل أخبارًا مفرحة لكَ كعادتي"، فأجبت قائلًا: " لست في حالتي المزاجية كي أستشعر أي فرحة. "فأجاب قائلًا: " بل هي ليست فرحة واحدة، بل فرحتين. "فقلت له " حدثني عن هذا الخبر"، فقال" أتعلم ذلك المعرض الذي يُقام سنويًا للأعمال الفنية والهندسية داخل المحافظة؟" فقلت له "نعم! أعلم أنه معرض كبير ويشرف بحضور كبار الرسامين والمهندسين"، فقال" لقد دُعيت من قِبل مسؤولي المعرض"، فصمت قليلًا ثم أكمل هاني حديثه وقال" لم يكتفوا بذلك، بل رشحوكَ لتقديم الأعمال الفنية والهندسية هناك أبشر يا محمد فذاك قولي لك منذ أعوام حين قابلتكَ وتوقعت لكَ ذلك المستقبل الباهر"، أخذت نفسًا عميقًا وكأن بداخلي صوتًا يراودني ويقول لي "لقد سُلبت الفرحة وقت أن رحلت عني أمنية"، أعطاني هاني كشفًا من أسماء المدعوين والبرنامج الخاص بالحفل وطلب مني أن أُلقي نظرة فأجبتُ قائلًا: " سوف أعتذر عن الأمر"، فأجاب هاني" أجننت؟ هذه فرصتكَ أما كنت تحلم يومًا بهذا أن تكون في صفاف كبار الرسامين؟ "فأجبته" كنت في الماضي اتركني وشأني"، ألح هاني عليَّ بالأمر، وإذا به يطلب مني أن أُلقي نظرة على تلك الأوراق، كان هاني من الشخصيات الطيبة الوديعة وددت ألا أكون ذلك المتمرد عليه وإرضاء له؛ قررت أن أبصر بعيني ولو سريعًا

على تلك الأوراق، فإذ بعيني تقع على اسمها من ضمن المدعوين، طرتُ فرحًا وقلت لنفسي:

"هل لنا من لقاء؟"

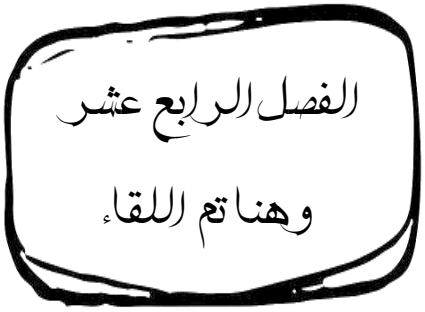

الفصل الرابع عشر

وهنا تم اللقاء

هذا ما كنت أتمناه وأخشاه في نفس الوقت، وهو أن ألقي حبيبة القلب. دعني ألا أتطرق إلى المكان ووصفه فلا حاجة لي ولكَ بوصفه فالأحرى أن أنقل إليكَ ما جاب في صدري وما تحدث به قلبي واستجابت له عيني وجوارحي. ويكفيك أن تعلم أنه كان معرضًا للفنون وكنت مكلف بالحديث عن الأعمال الفنية هناك. كانت الأمور مهيأة للقاء بعد أن رأيت اسمها من المدعوين وظللت أحدث نفسي كثيرًا وقلبي ظل في سعادة الانتظار محدثًا لي: "سألقاها بعد كل هذا الغياب."، مكثت كثيرًا وأنا أراقب في صمت وحيرة. أما حان الوقت وهل من المعقول أن يخلف ظن قلبي وتدابير عقلي. كنت منغمسًا في أفكاري، فإذا بعيني تقع في مسكن عيونها. ارتبكت كثيرًا وإذا بي أهم بنزع نظارة القراءة الخاصة به وكأني لا أريد أن يكون

هناك حاجز بيني وبينها يحول اطلالتها. تجرعت قليلًا من الماء حتى يتوقف قلبي عن نبضاته غير المعتادة، وأنا غارق في بحر مشاعري، إذا بجمع من الناس يقولون لي"هلمَّ، حان دوركَ الآن وعليكَ أن تبدأ الحديث."، كنت على غير طبيعتي وقلت لنفسي :"ماذا بكَ؟ أما هذا الذي كنت تحلم به؟ " فكرت مليًا في الأمر وجدتها في كتفي تهمس في أذني قائلةً:

"هلمَّ. أسمعني حديثكَ فأنا مشتاقة لصوتكَ. "

تحركت بقلبي لا بقدمي وبدأت الحديث وكأني أتحدث إليها. انتابتني تلك الحالة طول حديثي. كنت أختلس بعضًا من ومضات عيونها وبهاء حسنها، فاسترسل في حديثي مع العامة وأجيد في مهمتي وكأنها وكعادتها الأيقونة التي تملأ القلب يقينًا. وبعد أن انتهيت من حديثي، عادت أفكار الواقع تراوضني. لم يهنأ لي حالي وكأن سعادتي كُتب على باب دارها الفرحة المؤقتة. خطر في بالي أن أحدثها أو ألقي التحية لها، فقد كنت مشتاق لسماع صوتها. ظللت أفكر هل لي أن أذهب إليها أم ستغلق أبواب قلبها في وجهي. مكثت على هذا الأمر الكثير من الوقت، اكتفي بالمرور بجوارها وإهدائها نظراتي الدافئة التي كانت تقابلها كما تقابل الزهرة نسيم الربيع. ليس بجديد عليها فهي الزهرة التي نبتت بين طلوعي ومدت جزورها إلى أحشائي ونمت

وترعرعت بعد أن رويتها من محبتي وأشواقي. ثار العقل واصفًا ما يحدث موقفًا عبثيًا لا جدوى منه فالبعد كُتب في صحائفنا ولا سبيل للعودة. تبًا لك يا عقلي العبوس، كنت أظن أن الواقع استأجرعقلي كي يكون حاجزًا بيني وبينها، استنفر القلب وإذا به يدفعني أن أقترب منها وأستنشق عبق ريحها، اقتربنا وكانت من خلفي شعرت وكأن نورها يخترقني تدريجيًا وكان لسان حالي" لا مأوى لكِ إلا قلبي، توقفي واسكني هنا. هذا ملاذكِ الآمن."، تمهلت في خطواتي كي أثير اشتياقها وأن تبدأ بالحديث حتى وإن همت قائلةً: " دعني أمر ولا تعترض طريقي"، وكعادتها تلك الجميلة التي دومًا ما تحمل في وعاء مشاعرها المذهل من الأحاسيس إذا بها تتبعني وتسير بخلفي وكأن شوقها يقتبس اللهفة منى. حاولت قدر ما حاولت أن أطيل ذلك المشهد والذي استشعرت فيه أن كلانا يخطو نحو باب قصرها الملكي المزركش بحبنا. لم تدم طويلًا وحانت تلك اللحظة التي افترقنا فيها. بعثر الواقع بمرارة أوراقي وصدقه عقلي، أما قلبي فظل يحلم بتلك اللحظة التي فيها اللقاء. ارتجف قلبي كل ما مر الوقت وأنا أتصبب عرقًا من ولع الشوق لها. اصطحبني صديق لي لكي نتحدث سويًا، خرجت بحثا عن متنفس يريح صدري الضيق. وما أن بدأت حديثي معه، إذا بي أراها أمام عيني مارة بخفتها وحسنها حاملة في

يدها قهوتها التي أصبحت رفيقًا يعيننا على مرار البعد والفراق.
سمعت صوت قلبي ينبض عاليًا وصرخ صرخة يُسمع دويها، كانت هي اللحظة التي ألقيت فيها عقلي واستمعت إلى نداء قلبي وهنا تم اللقاء.

الفصل الخامس عشر

لقاء وعتاب

تحركت تجاهها وأنا تتملكني مشاعر الشغف باللقاء. ألقيت التحية عليها قائلًا: "كيف حالكِ؟" أجابت "كما ترى"، كانت على غير حالتها فقد فقدت كثيرًا من وزنها وأصبح وجهها مكتسيًا بالحزن. سألتني عن أموري فقلت "لا أملك الإجابة، فتلك حالتي أيضًا كما ترين"، نظرت إلى كوب قهوتها فإذا بها تداعبني بابتسامتها قائلةً: " تفضل"، أعلم أنها كانت نفس القهوة التي اعتدناها سويًا، كم كانت صعبة عليَّ فتلك هي المرة الأولى التي يحتسب أحدنا قهوته دون الآخر وما هذا إلا من علامات الفراق. ظهرت على محيانا كل مظاهر الوجع والحزن، لم أكن أتخيل أن نصير لما وصلنا عليه. تعاتبنا واشتد الأمر بيننا وتراشقنا بعضًا من كلمات العتاب واسترسلنا في أوجاع الواقع وكيف انهال علينا طعنًا غير مبرح. وما بين تلك الاتهامات والشكوى من الواقع وما حشده

حتى يفرق بيننا، إذا بي أصمت وأقول لها مشيرًا إلى صدري "أنتِ هنا لا أستطيع إخراجكِ ولا أتمنى ذلك"، وإذا بي أرى في عيونها دموع أوجاع تعبر عن كمٍّ كبير من الأنين بداخلها. همست لها قائلًا: " أنا أحبِ وعليك أن تعلمي ذلك"،

كنا على مرأى من الناس، ولكن لم نر أحدًا من حولنا وكأننا فى عالمنا الخاص. تحدثت إليها أنها منبع إحساسي ومصدر إلهامى الذي استند عليه في كل كتاباتى. نعم! إنها هى، فأنا لست بالأديب، أنا مجرد عاشق يدون إحساسه الذي فاض وزاد عندما تعلق قلبه بشخصها فتعلمت معها كل معاني الحب. حدثتها عني وعما أنجزته وقلت لها "تمنيتينى ناجحًا فصرت كذلك. يالا الخسارة وأي نجاح وأنتِ بعيدة عنى. "

يالا الواقع المرير! خذ ما يكفيكَ أيها الواقع واجعلني أكتفي بوجودها. بدأت في الحديث قائلةً: "هذه النهاية ستُغلق الستائر الآن"، كانت تتحدث عن قصتنا.

عنفتها وحاولت أن أستفز قلبها كي يدفعها للخلاص فما كان منها إلا أن تتهمني بالتهاون وأني لا أريد أن أبذل أي جهد فقط أريد كل الأمور مهيئة لي تصاعد الأمر بيننا والقلوب في حيرة مما يحدث وفي تلك اللحظات إذا بأحد يبلغني "هلمَّ كي تستكمل مهمتكَ المكلف بها" لم ألقي بالًا في البداية وبعدها حدثتها عن

أناقتها فإذا بها تقول لي "وماذا لو قلت لك أني تزينت لأني أعلم أني سأراكَ"ابتسمت وقلت "أنا أيضًا تزينت من أجلكِ" عابتها عتابًا هادئًا نابعًا من غيرتي فيما يتعلق بغيرتي عليها وكيف لا وعندما تحركت من مكانها كان هناك شخص في طريقها وكنت على وشك أن أطيحه من أمامها كي لا ينال من عطر جمالها أصاب ملكتي نوعًا من رجفة للقلب وإذا بكوب قهوتها يهتز من يدها وينسكب منه القليل على غطاء رأسها دعني أوصف لكَ أناقتها هي الفراشة الأنيقة التي تحمل في طياتها كل معاني الجمال هي اليمامة التي تعزف بجناحيها كل همسات الوجدان أشرت إلى خاتمها في يدي قائلًا لها: "أنظري هذا خاتمكِ فأين تلك القلادة التي كانت تزين عنقكِ؟" ردت في الحال وفي عيونها دموعًا "تطاول الواقع عليها ولا أعلم لما"، أشارت إلى إصبعها فتلألا ختامها وأضاء النور في عيني. صمتنا قليلًا فإذا بالعيون تتلاقى وتتقابل القلوب استشعرت وكأنها بداخلي تفيض عليَّ من دفء مشاعرها.

ليس ببعيد عما دار دعني أحدثك عما يدور بوجداني الآن أشعر بحالة من الشوق الشديد لها فهي من تسكن القلب نعم أحبها، بل أدمنها وأعشق وجودها أخاف في اللحظة ألف مرة أخشى أن يأتي الوقت وتصبح أقصى الأماني أن أراها في منامي أرى في عيوني دموعي وفي قلبي مخاوفي أود أن أطمئن قلبي بها وأن

أرجو بقاءها وأن نستكمل الطريق سويًا فهل لنا من ابتسامة ترسمها الحياة على محيانا هل من أمل لنا؟

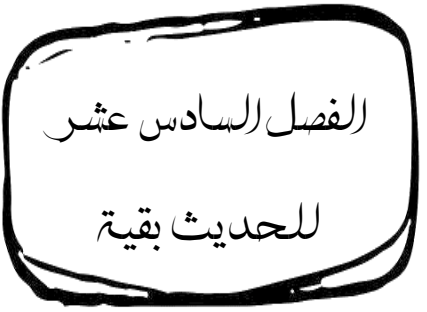

الفصل السادس عشر

للحديث بقية

انتهى اللقاء وتلاقت القلوب شعرت وأنا أغادر أن روحي تنسحب مني. تركتها غارقة في دموعها وفي وجداني مشاعر اشتياق تكاد تدفعني أن أضمها إلى صدري أرسلت إليها كلمة بألف معنى أرسلت إليها "بحبكِ" وفي كل حرف حياة الباء تعني بكِ أحيا والحاء تعني الحياة في كنفكِ جنة والباء تعني بشتاق لكِ في كل لحظة والكاف تعني كوني لي.

وكعادتها وعادة مشاعرها الأنيقة إذا بها تبادلني نفس الإحساس، بل وتستشعر نبض قلبي المشتاق وتقول "أود أن أكون فيه كنفكَ بين ذراعيكَ". هذه ملكة المشاعر كما لقبتها من قبل وهي من تتفهمني وتستشعرني. تبادلنا الحديث من الرسائل التي

تحمل في طياتها ما تكنه قلوبنا كنت قد طلبت منها أن أصافحها حال الانتهاء من اليوم صمتت وسمعت قلبها يعلن الموافقة قضيت الدقائق من غياب الوعي وجل ما يشغل تفكيري وقت أن تلامس يدي يداها فهذا هو الأمان الحقيقي مر الوقت بعجالة غريبة وظلت عيني تعانق بريق عيونها من وقت لآخر انتهى اليوم مع الأسف.

حاولت أن أرسم بسمة على وجهها فحملت هاتفي لالتقاط صورة مع أحد الأصدقاء لم يكن ذلك ما نويت، بل كنت أقصد أن تجمعني بها تلك اللحظات وفعلًا فعلت فإذا بي أرى نور ابتسامتها يهل كما يهل القمر ليلة اكتماله حتى وإن كانت ممزوجة بالأوجاع ولكني سعدت حين رأيتها فكرت أن أهديها شيئًا مما أملك تحركت بسرعة فائقة وبعثرت كل ما أملك أبحث عن أي شيء ولاسيما لو كان شيئًا مني أو شيئًا مكون من شقين كي نقسمه سويًا كما اعتدنا أن نقتسم كل شيء فإذا بعيني تقع على قطعتين من القماش كنت أستخدمهما لتنظيف النظارات وجاءت الفكرة أن أهديها إحداهما على أن تظل واحدة في جعبتي والأخرى لديها يالا حظ تلك القطعة التي ستلامس يدها وتتحلى بجمالها وحسنها كانت قد حدثتني أنها استنشقت عطري الذي كانت تفتقده عن أي عطر تتحدث وهي ذاتِ العبق الملكي الذي يملأ جنبات الكون والذي صرت رهينًا له منذ أن قُدر لي وعانقت

عطرها عطرت قطعة القماش من عطري لكي ينول شرف كونه بجوار ملكتي وفي أحضانها وبالفعل فعلت ذلك وتوجهت إليها أحمل ذلك المنديل في يدي يدلني قلبي لمكانها وأنا أترقب تلك اللحظة حتى أبصر قلبي نورها وأبصرت عيني حسنها بدأت أدنو منها ومددت يدي إليها حاملًا المنديل بين أصابعي حتى لا ألفت الأنظار من حولي بدأت العيون تبرق وتتحدث حديث الاشتياق مدت يدها إليَّ لكي تأخذ المنديل فلمست يدها فخشع القلب وسمعت صوتًا بداخلي يقول لي" الآن اطمأن قلبكَ"، عدت إلى مكاني وأنا أحمل في صدري آمالًا للغد، وأتساءل "هل من الممكن أن تكون يومًا في كنفي أمام أعين الجميع لا نخشى ولا نهاب ".

و مع الأسف انتهى اليوم، لم يبق إلا ما طلبته منها وهو أن أصافحها وقد كان ولمست يدها الناعمة فإذا بالجوارح تصرخ بالداخل من شدة الشوق تتبعتها بقلبي لا بعيني، وهرعت إلى الباب كي أشبع لوعة اشتياقي والفعل تلاقينا مرة أخرى، كانت مرة في خلفي ومرة أخرى من أمامي بدأت أن أتباطئ في طريقي مرة بضبط حذائي وأخرى بالحديث مع صديق لي كي أقتبس من نور عينها وافترقنا مرة أخرى تتبعتها في سيارة صديقي وقبل أن تعبر الطريق كنت أحملها داخل قلبي خوفًا عليها من الأعين عبرت بسلام ولكنها ببراءتها واجهت مشكلة في الخروج من مكان سيارتها أوقفت صديقي قائلًا له كذبًا "أشعر بدوار فهل لكَ أن

تتوقف؟" أوقف صديقي سيارته وانتظرت حتى يتهيأ المكان لها وتتمكن من أن تمهد لسيارتها غربت شمسها عن عيني سألني صديقي "هل لنا أن نتحرك الآن وكيف حالكَ؟" قلت له" حالي أسوأ مما كنت عليه وعليكَ أن تتحرك أود أن أحتسي قهوتي". قضيت ليلي شاردًا أفكر فيها لم تغب عني لحظة وعدت إلى مدونتي أكتب فيها تلك الكلمات التي بين أيديكم كي أخلد إحدى أرقى قصص العشق قصة البحث عن المستحيل آملًا من ربي أن يحين الوقت وهو القادر وأن يجمعني بها حين إذ سأعلو من التكبيرات وأسجد شكرًا لربي على نعمته عليَّ وأي نعمة فهي الملكة التي لها القلب يهفو ويشتاق وكتبت الآتي:

"اكتب لكِ وعنكِ وعليكِ أن تعلمي أني أحبكِ حبًا فاق الخيال وأن طيفكِ لا يغادر وجداني برهة من الوقت." أعلم أنها لم تكن بالليلة الساكنة الهادئة فقد عصفت قلوبنا وهفت تجاه بعضنا البعض مقدمة لنا لوحة من العشق يتداولها قلوب المحبين ولسان حالي إلى عزيز القارئ واعتبرها وصيتي أن تدعو لنا أن نتلقى عاجلًا أم أجلًا فقد طال البعد والفراق".

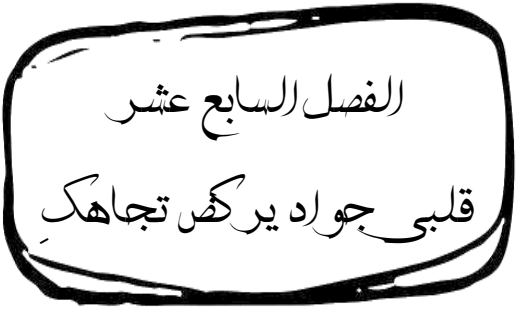

الفصل السابع عشر

قلبي جواد يركض تجاهكِ

أصبحنا نتبادل القليل من الحديث لم يكن بالكم الكافي لقلوبنا، ولكنه أصبح أمرًا حتميًا ومفروضًا علينا وفي ليلة لم تكن كباقي الليالي أرسلت أمنية رسالة لي تحمل في طياتها عن اشتياقها الشديد لي كانت في أوج إحساسها وكأنها تفيض أنهارًا من مشاعرها كنت في جمع من أصدقائي في بداية الأمر حاولت أن أحتويها وأن أطمئن قلبها أني على العهد وأني متلهف إلى لقياها، شردت بذهني وعقلي وبقي جسدي فقط بين أصدقائي الذين تعجبوا من أمري ولسان حالهم "ماذا ألمَّ بكَ يا محمد؟" أبحرنا سويًا في مركب مشاعرنا وبدأت أمنية تصف ما تعاني به من أوجاع البعد والفراق وعن حبها لي وليس ببعيد عما تقول فأنا الذي عشقتها وأعشقها وسأعشقها تصاعد الأمر والقلوب يشعلها

الاشتياق والأنين وانتهى الحديث بجملة مني لها قائلًا: "اعلمي أني أحبكِ ولن أنساكِ يومًا. "

أصبح أكثر ما يؤلمنا بعد أن اجتمعنا مرة ثانيه هو أننا أصبحنا ندرك أكثر فأكثر نستشعر فيحل ذلك بالآلام على قلوبنا ولا تستطيع تحملها أصبحنا نحسد البسطاء على حالهم وهم الذين يمتلكون مدارك بسيطة غير معقدة كل ما يشغل بالهم هو أن ينالوا وجبة شهيه ويرتدون هندامهم الأنيق ويجتمعون مع ذويهم في أحاديث متبادلة يعمها الفرح والسرور يا لها من راحة اقترفوها من إدراكهم أما أنا وأمنيه فقد عقدت الأحزان عقدة ألا تفارقنا وظل التفكير يعم أذهاننا وبقي الإحساس يحتوينا فيأخذنا إلي عالم أخر لدرجة أن حسبناه حقيقة ولكنه في واقع الأمر خيال.

بدأت الأحداث والذكريات تمر علينا كفيلم قصير تتباطأ فيه مشاهد البهجة والسعادة وتتكاثر فيه مشاهد الأوجاع بدأنا نستشعر أن القصة ألت إلى نهايتها رغمًا عن تمرد قلوبنا التي رفضت أن تعترف أن القصة انتهت بالفعل. يلوح في أفاق تفكيري الأمل يخبرني هامسًا في أذني" لم يُسدل الستار عن القصة"، يتزايد التفاؤل لدي حتى تظهر على محياي فرحة تملأ وجهي العبوس وفي خضم تلك اللحظات يراودني عقلي ويشعل الهواجس من جديد وينفرد بقلبي مقدمًا له الأدلة الكافية بعنوان لا أمل في الرجوع وما أن تحل الأوجاع على قلبي فيصرخ متألمًا ويتباهى

العقل بما فعله وأنه على صواب موجهة الاتهامات للقلب بكونه لم ينضج بعد انتهى الصراع بين قلبي وعقلي وا أسفاه فاز العقل بعد أن استند إلى أدلة صاغها الواقع له وأعانه عليها كل هذا وأنا في حيرة من أمري أأصدق قلبي أم عقلي؟ هل هي النهاية بالفعل أم أنها مجرد عاصفة ساقها الواقع لنا وأننا سنبحر سويًا من جديد؟ نهاية أشبه بالخيال رغمًا عن حقيقة أبطالها ومشاهدها وأحاسيسها ومشاعرها جلست أفكر متأملًا من هول ما أعاني منه وأكتب لكم في تلك اللحظة وبداخلي كمًّا وفيرًا من الأسئلة العديدة مثل: " هل يُعقل أن تنساني؟ هل ستقدر؟ هل هو الفراق الأبدي؟ "اقتحمت الأفكار داخل قلبي وبدأت أشعر وكأنه ينزف دمًا بداخله لم أكن أمتلك تلك الحجة البالغة التي أطمئن بها قلبي تركته يعاني ويتوجع أكثر فأكثر وبحثًا عن حلول السكينة والطمأنينة له حاولت أن أجد مسكنًا لآلامه أعلم أنه لا يُباع فلا يوجد أدوية لراحة القلوب أرسلت لها رسالة أطلب رؤيتها وإذا بها تجيب وتقول: " لم يعد الأمر باليسير كما كان من قبل تزايدت الضغوط وعكفت أمي على تضييق كافة المتنفسات لدي." انتابتني حالة من الغضب الشديدة حال سماعي جملتها حاولت أن أجد أي أمر ينجيني مما ألم بقلبي وفكرت في أن أجد حيلة أن أبصرها لعل عيني تعكس نورها بداخلي فتحل الطمأنينة على قلبي.

وقد كان وفي طريق عودتها من العمل أخذت مكاني حتى لا يراني أحد وبالفعل أبصرتها بجمالها وحسن إطلالتها كنت على وشك أن أقطع الطريق مهرولًا إليها كي أخفيها بداخلي وتستقر جل أموري وإذا بها تلحظني وترسل رسالة لي:

" أفعلتها وجئت؟" فأجبت في الحال "لبيت اشتياق قلبي لكِ".

بدأت تتحرك تجاه سيارتها وكنت أراقبها من بعيد حتى استقلت سيارتها وبدأت في طريقي لعودتي إلى المنزل وبعد أن وصلت إذا بها ترسل رسالة لي وتقول" أواجه مشكلة بالغة سيارتي لا تعمل"، كان اليوم عاصفًا جدًا يعلوه الأتربة والغبار في كل النواحي لم أستغرق وقتًا في التفكير وهممت بالخروج مرة أخرى وأرسلت لها قائلًا: "أنا في الطريق إليكِ"، فأجابت قائلةً: "لا عليكَ فيوجد فني للسيارات وتوجهت إليه"، قلت لها "تحركت وأنا في الطريق"، وبالفعل وصلت إليها واقتربت منها وقلت لها "هلمِّ إليَّ"، جال التفكير في ذهنها كثيرًا بين عقل يرسم لها تلك المخاطر وقلب يريد أن يدنو منى انتصر قلبها وإذا بها تتوجه إليَّ وكان بجوارنا مقهى فاحتسينا سويًا قهوتنا فإذا بالفني ينتهي من عمله ويقول لها: " الأمور الآن على ما يرام والسيارة تعمل بكفاءة عالية"، قالت عليَّ أن أنصرف الآن وعليكَ أن تعد لدارك.

وبعد أن أخذت سيارتها وهمت بالتحرك انتابتني حالة من الاشتياق الشديد ووجدت نفسي مسرعًا حاملًا فنجان القهوة في يدي فاعترضت طريقها أبصرتني وكانت في حالة ذهول شديدة وابتسمت كانت يدي ملطخة بالقهوة جراء السرعة الفائقة التي كنت عليها كي ألحق بها فإذا بها ترسل رسالة قائلةً: " كيف ظهرت أمامي المسافة بعيدة من مكانكَ الذي كنتَ فيه إلى الذي ظهرت فيه مرة واحدة..."، قلت لها: "هذا قلبي يدفعني إليكِ أتحرك تجاهكِ بقلبي فيزيد من حمية قدمي فأجد نفسي كجواد يركض تجاهكَ. "

الفصل الثامن عشر

في حضرة الملكة

لا أستطيع أن أجزم بالقول أن الأمور استقرت بيننا، ولكني أثق أنه كان رجوع محاط بكم كبير من المخاوف والقلائق كنا نتواصل بقدر قليل ولكنه كان كافيًا أن يطمئن كلانا أمر جعلنا نلتفت يمينًا ويسارًا نخشى أن ينكشف الأمر ويصير جليًا وتتعقد الأمور أكثر لم يكن أمامنا سوى الحذر ثم الحذر حتى جاء اليوم وكنت في مرسمي فإذا بأحد الموظفين هناك يستدعيني ويقول لي" هناك امرأة في الخارج تريد مقابلتكَ"، توقعت في بداية الأمر أنها أحد العملاء ولديها بعضًا من الأشغال الهندسية الفنية فخرجت من مرسمي فوجدتها أمامي نعم وجدت أمنية كنت في حالة ذهول شديدة انتابتني حالة من الارتباك بشكل غريب استشعرت قلبي فرحًا بداخلي وكأنه على وشك أن يخرج من بين ضلوعي كي يضمها إليه تحركت إليها فبدأت بالحديث إليَّ قائلةً: "أود أن

ترسم لي لوحة تعبر عن جمال الطبيعة وآيات خلق الله"، فكرت مليًا في أمر طلبها نظرت إلى عينها التي كانت تلمع من بريق إحساسها فقلت لها "أمحقة أنتِ؟" فأجابت" بلى! " قلت لها "هلمِّ إلى المرسم وسأعرض عليكِ بعضًا من النماذج"، اختلط المرسم عليَّ واصحبتها إلى غرفة بجوار المرسم وقلت لها "لا عليكِ دعينا هنا"، بدأت أسرد لها ذهولي الشديد الذي ألم بي حالة أبصرتها لدرجة أني تجرعت القليل من الماء حتى أعود إلى صوابي فقد كنت على وشك أن أصرخ من سعادتي الجمة تبسمت وقالت "أعلم أن علينا بالحذر، ولكني أجبت نداء قلبي وجئت إليكَ وودت أن تكون مفاجأة. "لا من جديد يُذكر فهذا هو إحساسها كما أحببتها لم ولن تتغير استفقت من ذهولي ومازال قلبي يدق بداخلي شغفًا واشتياقًا عدت إلى حديثي ممازحًا لها "وكيف لا تعرفين ما هي تلك اللوحة التي تحمل بين طياتها آيات خلق الله في الطبيعة!؟" فأجابت " نعم! لا أعرف. "

فقلت لها: " دعيني أعلمكِ وأضيف إلى معلوماتكِ كعاداتي تلك اللوحة هي"، توقفت وأشرت لها بقلبي قبل إصبعي فما كان منها إلا أن ابتسمت وقالت

" هذا أنا! "فأجبتها" نعم. أنتِ أجمل لوحة فنية تجملت ملامحكِ وتزينت هيئتكِ"، نظرت إليها فإذا باحمرارِ الخجل يضفي نوره على وجهها توجهنا إلى المرسم واستكملنا الحديث

هناك حدثتها عن مدونتي التي أكتب فيها كافة تفاصيل المشاعر والأيام التي قضيناها سويًا كي تكون أجمل رواية عشق بين أيدي القراء في يوم ما وبدأت أقرأ لها بعضًا من السطور..

" قلبي متمسك بكِ وأضعف ما يكون أن يغادركِ"، بدأ العرق يتصبب على جبهتها اقتربت منها أكثر كي أنال من عبقها تحدثنا سويًا عن أمور تتعلق بما دار بيننا في الأيام الخوالي كانت تنظر إليَّ وفي مقلتيها يستوطن إحساس الاشتياق مزركش بالأمل في أن تهدينا الدنيا لحظة تفاوض ونقاش معها تنتهي بنا للبقاء سويًا مع بعضنا البعض أمد العمر سألتني "وهل يأتي المرسم أناس أعرفهم؟" أجبت

" نعم! أغلبهم من المهندسين منْ يحتاج بعضًا من التصورات الفنية مني"، اشتعل القلق على ملامحها وهمت بالانصراف أوقفتها فجأة وعاتبتها عتابًا جمًا معلقًا على ملابسها فأجابت بطريقة مرحة مرة وطريقة مدروسة مرة أخرى مبررة أن ذلك نتاج نقصان وزنها لم أصدق تلك الحجج المزعومة فقد كان لباسها جذابًا لأعين الآخرين وانتابتني حالة من الجنون وغادرت أمامها مسرعًا ووضعت قدمي اليسرى على قدمها داهسًا إياها بشدة كنوع من العقاب لها كانت قسوة مني لا أنكر ذلك، ولكنها تحمل معاني الغيرة الجنونية والشوق للقرب منها فعندما فعلت ذلك اقتربت منها وعانقت رائحتها وشاعت بين ضلوعي.

خرجنا إلى صالة الاستقبال سويًا وقمت بمصفحتها مصافحة الوداع، ولكني أسرعت خلفها وتشابكت أيدينا ثم همت بالانصراف خرجت وخرجتٌ أتابع خطواتها حتى انتهى الطريق وغابت عن عيني، ولكنها لم تغب عن قلبي أرسلت إليها رسالة نصية قائلًا: "كنتُ في حضرة ملكة قلبي. أنا سعيد للغاية يا الحبيبة"، أجابت برد كان له واقع الأسى علينا قائلة" بدأت أتوجع عندما أراكَ لم أعد أعرف ماذا ألم بي أتفهم جيدًا كل حرف قلته فنحن أصبحنا الآن لا نرضى بأي حلول وسطية لا نرضى سوى أن نجتمع تحت سقف واحد"، وفجأة عادت إلى جنونها وقامت بتصوير أثر قدمي على قدمها حل عليَّ الاشتياق أكثر فأكثر وودت أن أنقش أثري على حياتها يومًا ما وأفضي لها بكافة أسرارعشقي لها عاد كل منا إلى محبس الواقع حاملًا مشاعر التفاؤل بين أشواك الحقيقة بدأنا بالحديث سويًا محللين ذلك المشهد وقدومها إلى مرسمي تطرقنا إلى كل تفصيلة دارت بيننا ولا جديد ولا قديم يعاد فتلك حياتنا التي استوحيناها من مضامين الحب وأصول العشق حتى باتت لغزًا يحتار عامة البشر في فك طلاسمه واستيعاب هويته استغرق الحديث وقت طويلًا ساده حالة من الانسجام الغير متناهي والألفة بين القلوب حتى حل علينا ظلام الليل وانتُزع فتيل التمرد على الواقع كان الحديث سلسًا بيننا في البداية استُبدل الأمر وتعالت صرخات الخلاف والشجار يعلوها أنين وحنين بداخلنا ويقدمها اللوم والعتاب احتد الخلاف وتغيرت

نبرات الأصوات ولم تتغير القلوب التي حاولت التهدئة بيننا قائلةً: " مهلا أيها الأحبة رفقًا ببعضكم البعض أعلم أن الحب أهداكما من صبغته ولكن الواقع يحول بينكما استبشرا خيرًا للغد واعلما أنه مهما صعب الطريق وأُغلقت السبل فالحب لديه من السمات ما يمكنه أن يغزو كل حصون الواقع".

نجحت القلوب في تغيير المشهد وخمدت نار الخلاف وعم الهدوء في ضواحي مساكننا اعتذرت لها عما بدر مني خاصة أني من الأشخاص التي لا تبصر عندما يحل الغضب عليها وكان الجواب منها: " لن نختلف يومًا مهما حدث لن يجد الفراق له طريقًا بيننا هكذا نحن قد نتشاجر، ولكننا نحمل بداخلنا حبًا ويستوطن بقلوبنا أمانة العشق بين ضلوعنا."

مر اليوم، وانسحب بساطة من تحت أقدامنا يومٌ ممزوج بالأحداث مفاجأة وحديث للقلوب تتبعه شجار واحتقان واختُتم بالألفة حيث نسجت القلوب خيوطها وتعانقت الأرواح واكتسى اليوم بذكريات تُضاف إلى سطور القصة.

الفصل التاسع عشر

أود الانسحاب

وفي إحدى الليالي أرسلت لها رسالة كي أطمئن عليها، خاصةً بعد أن أصبح التواصل أمرًا ليس باليسير، أعلم أن الحزن رسم نقوشه على جدار قلبها واختارت العزلة بعيدًا عن جموع البشر، أتيقن أنها ليست بخير فما عادت أمنية كما كانت من قبل، هذا ليس جسدها، أصبح الأرق رفيقًا لها، عمَّ التفكير ضواحي عقلها، هذا ما صارت إليه وبدوره انعكس على علاقتنا؛ فباتت تهرب مني حالة أن طرق اليأس قلبها، أراها في يوم تميل للحديث إليَّ، وفي مرات كثيرة تؤثر الوحدة عليها وتتهرب مني وتعلنها صريحة قائلة: "أود ألا أتحدث مع أي أحد من البشر". لا أنكر أني كنت أقدر حالتها وما ألمَّ بها، ولكني في نفس الوقت مازلت قلقًا عليها وأشعر بالحنين والشوق لها، أجد نفسي أستجيب لمطلبها أو اختيارها للعزلة قائلًا: "حاضر". ومن داخلي بركان يثور على الواقع

بعد أن فرض علينا تلك الفرقة.. تلك الغربة بعد أن كنا أقرب ما يكون صرنا كالغرباء، حتى وإن حافظت الأرواح على تآلفها.. نعم أحن إليها وأتوق إلى رؤيتها وإلى النظر في عينها، إلى حديثٍ مفعم بالضحكات، إلى سردٍ للحكايات بيننا إلى شِجار كالأطفال يدور بيننا ولكن هيهات هيهات لما أحن وأشتاق؛ فالواقع نصب قيوده وأعلن حكمه بالسجن المشدد لنا كان الرد على رسالتي شديد، اللهجة تلك المرة واستفاضت قائلة: "أود الانسحاب" لم تكن تلك المرة الأولى التي تعلن فيها قرار الانسحاب استجابة لتلك المعاناة التي تمر بها بعد أن فقدت كل شيء حتى هويتها وتطاول عليها أرازل البشر كان للرسالة واقع شديد عليَّ ولكني تظاهرت بالهدوء ولم أجب بأي كلمة واستطردت في الحديث قائلًا: "دعيني أطمئن عليكِ من وقت لآخر"، انتهى الحديث بيننا بعد رغبة شديدة في الانسحاب من طرفها وغضب يجول داخل كياني رحت إلى نفسي أحدثها عما حدث، التمست لها الاعذار، فاقت الأوجاع الحدود لديها فبدت كالتي تلملم أذيال خيبات الواقع في بحر لاذع وبات الحظ خصيمًا، لها ولملمت الفرحة حقائبها مغادرة قلبها مكثت على هذا الحال العديد من الأيام أرسل الرسائل فما من مجيب ساد القلق قلبي، حاولت أن أجد تفسيرًا لتلك الحالة التي كانت عليها أصابني الغضب الشديد وانتابتني الشكوك أحقًا استجابت للواقع وتناست أمر حبي، كنت أنكر هذا قائلًا لنفسي: " لا ليست هي من تناسيت"، كنت أبحث عن تلك المبررات لغيابها وفي نفس

الوقت أغضب تجاهها وما بين هذا وذاك أصبحت لا أعلم ما الذي يجب أن يُفعل، صار يومي ذات طبع باهت محاط بمهمات العمل التي فشلت أن تنتزع تلك اللهفة تجاه المحبوبة، اعتراني التفكير مرارًا وكنت أقضي ليلي أحدث نفسي عنها فأراها في مخيلتي فأبدأ في الحديث لها قائلًا: "أين أنت؟ أجيبيني"، وعندما أعود لصوابي أراني أبكي بكاءًا شديدًا، فذاك خيال فالبعد حلٌ وفرضٌ أحكامه علينا عكر القلق أجواء حياتي فبتُّ في حالة عصبية يحل عليَّ الغضب لأبسط الأسباب، لاحظ أصدقائي في العمل كل تصرفاتي وبدأوا في توجيه النصائح لي بأن عليَّ أن أهدأ قليلًا، فهذه ليست طبيعتي فضلت الانعزال عن الجميع وقررت أن أخذ سكنًا بعيدًا عن أهلي كنوع من تخفيف الضغوط فيكفيني ما أعاني وأتوجع، أما عن العمل فحلَّ الصمت على طبيعة شخصيتي فكنت أنهي مهماتي فقط ولا أتعامل مع أحد لم يعنيني ما ظنه رفقائي بي فكنت لا أراهم لم أرى غير ما بداخلي تلك النار التي التهمت أحشائي لهيب الشوق لها، ولهيب قرر أن يبحث عنها، قررت أن أذهب إلى كل الأماكن التي اعتادت زيارتها فذلك مطعم كانت تفضله وذلك كافية كانت تتناول قهوتها فيه وتلك محلات اعتادت أن تشتري منها، ولكن كل هذا بلا جدوى.

بعد شهر من البحث حدثت نفسي قائلًا: " ألم تتذكر ما قالت لكَ أنها صارت لا تخرج؟"، فكرت في أمر سفرها فهل من

الوارد أن تكون غادرت البلاد ثانية؟ بتُّ كالذي يبحث عن قشة في محيط هائج الأمواج، وفي مرة دعاني أحد الأصدقاء بأن أتناول العشاء معه رفضت في البداية، ولكنه أصر وأتى إلى المرسم وألح عليَّ بالذهاب أخجلني بذوقه ولذلك ذهبت معه، وعندما دخلنا إلى المطعم وقعت عيني فجأة على طاولة أمام المدخل.

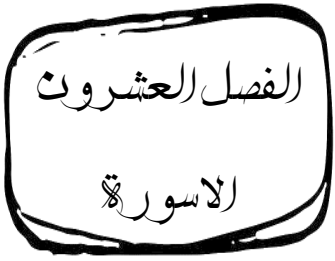

نعم وجدتها.. انتابتني مشاعر ممزوجة بالفرح والحزن وبت لا أستطيع السيطرة على مشاعري استشعرت وكأن بداخلي طاقة اشتياق شديدة لها، وكأني أود أن أذهب إليها كي اختطفها من ذلك الجمع الذي كانت فيه، عدت إلى صوابي وعقلي وقررت أن أعود إلى داري.

عدت إلى داري ويسكنني كمًّا كبيرًا من الأحاديث والمواقف التي حدثت بيننا، مازالت تعصف بذهني وتأخذ بعقل مسافرًا إليها، وكيف لا وهي مَنْ تعلمت أبجدية الحب، بين يديها حقق الواقع ما خطط له بعد أن اقتحم مدينة عشقنا، ولكنه لم ينهب ما بداخل أفئدتنا فتلك محصنة يستحيل عليه أن يقترب منه جال بخاطري سؤال "ثم ماذا بعد يا محمد؟ هل لنا من بصيص أمل أم أن الأمر قد انتهى وحُسم؟" عكفت إلى نفسي أشرد إليها كعادتي

بحثًا عن سبلٍ تعلن مهد الأمل بيننا من جديد، وإذا بي أرسل رسالة لها قائلًا: " أمنية! هل لنا من لقاء!" فاجابت قائلةً: "لا أعرف، بت لا أعرف شيء أصبحت كافة الأمور خارج اختيارتنا"، فقلت لها "لدي فكرة مجنونة وأود أن توافقيني الرأي"، فأجابت "محمد! تريث الأمر، لا مجال للجنون فيه بعد أن خيم الحذر على معسكرنا"، فقلت: " أود أن ألتقي بكِ اليوم"، فقالت: " وأنا أيضًا، ولكن كيف يتسنى لنا بذلك".

قلت لها "قرأت مقال عن العشاق وعن حيلة لجأوا إليها كي لا يجعلوا للفراق سبيل لديهم"، فقالت: " محمد! حدثتكَ من قبل أن هذا الكلام مجرد ورق انتصر الواقع علينا وغزى حصوننا." فقلت لها: " دعكِ من تلك الروح البائسة وعلينا أن نحتذي." فقالت: " ماذا تريد؟" فقلت "دعيني أكمل الحديث. "فقالت: "لكَ هذا." استفضت في الحديث معها أن حيلة العشاق هى أنهم يحضرون زوجًا من الأساور كعلامة للتآلف ونبذ الفراق والبعد بينهم كنت في أمس الحاجة إلى أبسط الأمور كي تحل على نفسي السكينة والاطمئنان وأنجح في أن أنفي كل المخاوف التي تحيط بذهني من فراق وبعد بيننا فإذا بالفكرة تستحوذ على إعجابها وأذهب مسرعًا إلى المتجر واختار زوجًا من الأساور وأرسل لها رسالة ملحقة بصورة من الأساور قائلًا: "لن نفترق يومًا"،

أعلم مدى قوة هذه الجملة فقد حملت في طياتها كمًّا من الأوجاع لدينا.

نسقنا موعدًا كي نلتقي وتوجهت إلى سيارتها وأعطيتها الأسورة وهممت بالانصراف بعيدًا لم يكن لدينا إلا تلك الطريقة خشية من تلك المخاوف التي باتت رفيقًا لنا أشرت إلى أسوررتي وكنت على بعد مسافة منها، ولكنها أبصرتني وتمتمت بشفتي قائلًا: " أنتِ بقلبي. "

افترقنا وعاد كل منا إلى مسكنه وفي المساء أرسلت لي رسالة قائلةً: "علمت أمي بما دار بيننا اليوم وعزمت النية على محاربة قصتنا أكثر فأكثر."، صُعقت من أخبارها وبدأت أستفسر منها عما آلت إليه الأمور فقالت: " هو البعد ولا مجال لي أروي لكَ المشاجرات التي دارت بيني وبين أمي"، حاولت أن أرسم التخيلات لتلك المصيبة التي حلت بنا وشعرت أن الأمور ازدادت سوءًا على سوء.

هنا حدث البعد وارتسمت خيوطه بُعد إجباري حتى وإن تآلفت الأرواح ومن ذا الذي يمتلك تلك العصا السحرية حتى يتمكن من أن يفصل أرواحنا بعيدًا عن بعضنا البعض كانت فترة أشبه بليلة طويلة حالكة السواد لم أتمكن من السيطرة على مشاعري في تلك الفترة وكان ذلك جليًا في تصرفات فعل أمنية

تجاهي فتراها تارة تجمع لبنات الأمل، وتارة يهزمها اليأس، كل هذا لم يكن بمحض اختيارنا؛ فبداخلنا ثورة عارمة وبركان هائج، صار يطيح بأذهاننا؛ فبتنا نتخبط يمينًا ويسارًا نبحث عن بعضنا البعض بطرق مختلفة.

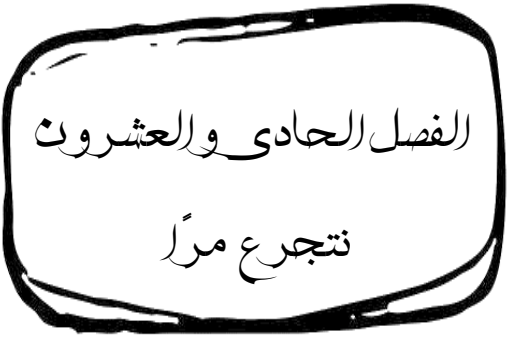

الفصل الحادي والعشرون

نتجرع مرًا

زادت الضغوط علينا وصرنا نتواصل بشكل قليل، فتلك أمنية قد تم تشديد الحصار عليها من قِبل أهلها حتى أنهم أحكموا قيودهم على كافة تحركاتها ومارس أهلها كافة الشروط عليها فيما يتعلق بعملها وأصدقائها، بل أنهم بيتوا النية أن يفرضوا المزيد والمزيد، قُطعتْ أخبار أمنية لمدة معينة كنت خلالها أتابع منشوراتها على صفحتها الشخصية التي كانت ممتلئة بالحزن والرغبة في الموت، ثم عادت وأبصرت عينها رسائلي، وقتها أرسلت لها رسالة قائلًا: "كفايه كده وخدي بالك من نفسك"، انزعجت وردت: "أنت مش حاسس بيا، الوضع بيسوء يوم ورا الثاني، أنا مش بحكي حاجة ولا هحكي."، قلت لها "هوني على حالكِ واهتمي بأمركِ."، فقالت: "حالي! اضحكتني. فقدت نفسي فقدت أمنية

بكل ما تحمل معنى الكلمة."، دب القلق في قلبي خوفًا عليها خاصةً وأني لم أكن ألم بكافة أمورها في الفترة الأخيرة. صمت قليلًا وقلت لها: "أنا أحبكِ ومن حقي أن أطمئن عليكِ"، أجابت: "لا تنتظر مني أي رد لما تقول، انتصر الواقع علينا وعلينا أن نعترف"، قلت لها: "لا! بإمكاننا أن نغير الواقع"، فأجابت: "هذا خيالكَ، حكِّم عقلكَ واعترف أن البعد كُتب علينا."، كان لحديثها أثر موجع عليَّ، أصبحت محاطًا بالعديد من الهواجس، خوف عليها وقلق على صحتها ونفسيتها وتفكير في مستقبل غامض وحب واشتياق مازال يملأ حنايا قلبي، عدنا إلى حالة الصمت مرة أخرى، كانت تكتفي برؤية رسائلي الأمر الذي جعلني اصطبر لما تمر به وأشد على يدها كي تستفيق لإمرها خاصة مع احساسي القوي بتدهور حالتها الصحية والنفسية.

عالم بأسره مليء بالوجوه، ولكني أرغب وجهًا واحدًا. أود أن أبصر تفاصيل وجهها وأحتضن أوجاعها كي أخفف عنها. ظل الصمت من طرفها حتى جاء اليوم وقرأتُ رسالة لها "محمد! بالأمس حاولت الانتحار كي أجد الخلاص وتناولت عدة من الأدوية ولكن لسوء حظي ما زلت على قيد الحياة"، عمَّ التوتر عليَّ وأرسلت لها قائلًا: "أود أن أطمئن عليك ودعكِ من تلك الأفكار"، اختفت لبضع ساعات بعد رسالتي ما جعلني في حاله قلق شديدة. بدأت أرسل لها رسائل عدة وأنا أشعر بالعجز تجاه

إنقاذها من تلك الحالة، أصابني الغضب من الواقع كثيرًا وأرسلت لها قائلًا: "لا تتركيني وعيشي من أجلي"، وبعد أن انقضت الساعات قرأت رسائلي وردت" هذه هي الحقيقة، أود أن أستريح راحة دائمة".

عقبت على كلامها "ومن قال لكِ أنها الراحة. سنعيش سويًا مهما حدث"، أُغلق الحوار بيننا ومكثت ليلي أرسل لها وما من إجابه منها. كانت ليلة شديدة الأوجاع قضيتها في التفكير وبعض من المخيلات، حتى جاءت اللحظة وبكت عيني من هول ما حل علينا، جاء الصباح وقرأت رسائلي فكانت بمثابة الطمأنينه المؤقتة أنها مازالت على قيد الحياة، لم أكتفِ بتلك الطمأنينة أود أن أطمئن عليها في جمع أموالها، أرغب أن تسكن لكنفي، فاستشعر دفئها.

انقضت الأيام وفي كل يوم، بل والأحرى في كل لحظة يعتريني القلق من محاولاتها أن تفارق الحياة، كانت الحياة باهتة لكل منَّا، نستشعر بعضنا بعضًا، ولكنها أصبحت واضحة وضوح الشمس أن البعد قد فُرض. بعد نهائي لا مجال فيه للرجوع مرة أخرى.

اكتب الأن وأنا في غرفتي في دار الغربة مرة أخرى، بعد أن تجمهر الأقارب حولى ومارسوا كمًا من الضغوط عليَّ للعودة إلى

منزلى، وللاسف رضخت لتلك الضغوط وحملت أمتعتى ومدونتي وعدت مرة أخرى، أكتب باكيًا عسى أن تاتي النهاية بما تمنينا سويًا في يوم ما، نهاية رسمنا خيوطها وحلمنا أن تبتسم الحياة لنا فتهدينا من الحظ القدر الوافي، أكتب وبداخلي أوجاع جمة لما صرنا له بعد أن أخلصنا النيه في الحب فكنا روحًا واحدةً تهيم في سماء العشق، أكتب وقلبي يئن وعيني تذرف دموعًا اشتياقًا لها، أكتب إلى الواقع قائلًا: "دعنا وشأننا يكفيكَ ما ألمَّ بنا."، وضعت رأسي على وسادتي وصرخت قائلًا: "أودكِ الليلة بجواري، هلمِّ إليَّ الأن."، فسمعت صوتها يدب بداخلي قائلًا: "لن نلتقي سويًا؟ هذا خيال.. خيال."

بكيت بكاءًا حارًا حتى عمَّ الصداع نواحي رأسي فاغمضت عيني قليلًا.

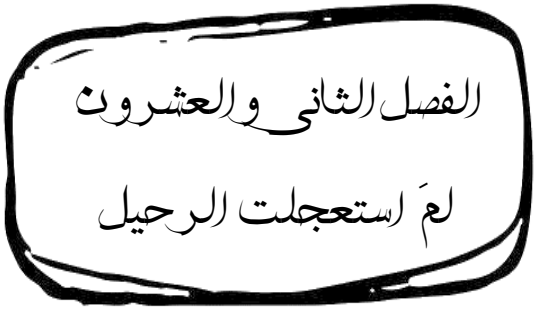

طال غيابه ولم تكن تلك عادته، لذا وجدت نفسي مرسلة إليه رسالة بعد قضاء النهار عبر هاتفي: "أين أنتَ؟" أمضيت يومي في حالة ذهول من أمره، فتلك رسالتي لم يقرأها طوال تلك الساعات، وبعد فترة قررت أن أتصفح حسابه على الفيسبوك لعلي أرى أي منشور فأطمئن أنه بخير، وإذا بي أرى نعيه أمام عيني... لم أصدق عيني منذ الوهلة الأولى، فتصفحت صفحته كاملة ووجدت تعليقات الأسى والحزن والفراق وهنا تيقن عقلي أن الأمر حدث بالفعل. **نعم! مات محمد.**

هممت بالصراخ بصوت عالي قائلةً: " محمد! قتلك الواقع. لم تركتني!؟ أجبني! أنا أحبكَ وأحتاج إليكَ قلت لي سنعيش سويًا. لماذا خنت العهد واستعجلت الرحيل.. قل لي! أجب يا محمد!" سمعت أمي صوتي وقالتك: "ما الذي تقولي"، قلت لها: " أنتِ من

قتلتي محمد"، صفعتني على وجهي الباكي وقالت: " أجننتي؟ لم أقتله، وكفاكِ هراء"، وعقبت كلامها: "مات وارتحنا منه".

ذهبت إلى غرفتي وارتديت لبسي الأسود، سواد بالداخل قبل أن يكون بمظهري، خرجت دون أن أبلغ أمي، فأخذت سيارتي وبداخلي أفكار جمة تلوح في ذهني أن ألقي بنفسي في النهر فألحق بمحمد ونتقابل سويًا، ولكني كنت أضعف من ذلك القرار، وجدت نفسي في شارع محمد، وبالقرب من بيته، الكل ينوح ويبكي، نساء اكتست بالأسود ورجال عمَّ الحزن والبكاء في أعينهم، سألت أحدًا هناك "أود أن أدخل الدار." وبالفعل دخلت ووجدت أمامي والدته وإخوته البنات الإثنين وأخوه الأصغر، قلت لهم:

"أين هو؟" قالت أخته الأصغر فاطمة" منْ أنتِ؟" قلت لها "لا يعنيكِ، أود أن أراه."، قالت أخذوه إلى مكان دفنه.

يا لحظي العنيد حتى وأنتَ على فراش الموت لا أتمكن أن أراكَ، مكثتت في العزاء بجانب مجموعة من النساء وأنا في حيرة من الأمر" أحقًا هذا أم أنه كابوس وسأستفيق منه. "

جاءت فاطمة وقالت لي "أنتِ الملكة التي كان يحبها ويكتب عنها"، أنكرت معرفتكِ خشية أن يأتي الصدام بينكِ وبين أمي، قلت لها والدموع تذرف من عيني التعسة "حلمنا أن نعيش سويًا، ولكنه تركني ومات"، سألتها عما حدث، قالت: "علمنا من

أحد أصدقائه في المرسم أنه كان يمر بحالة صعبة من الضيق خلال الأيام الماضية مما جعل حالته المزاجية أن تتغير، فما عاد محمد ذلك الشخص المرح، حتى حديثه معي كان دائمًا يحمل الأسى والحزن في طياته نتاجًا لما حدث لقصتكما، أما عن وفاته فقد صدمته سيارة كما روى بعضًا من شهود العيان وعند إبلاغنا توجهنا إلى المستشفى، ولكنه كان قد فارق الحياة".

كنت أستمع إليها بقلبٍ مكسورٍ يتوجع، يود أن يقول لها: "توقفي أيتها الكاذبة فمحمد حي لم يمت".

وما أن أنتهت من حديثها حتى سمعت صوت هاتفي وإذا بأمي تتصل بي قائلةً: " أين ذهبتِ؟ أجبتها وأنا أبكي" أنا في دار محمد."، فقالت عليكِ أن تتحرك الآن، أغلقت هاتفي حتى لا يتمكن أحد من إزعاجي وذهبت إلى فاطمة وقلت لها: "أرجو أن تسمحي لي بطلب خاص"، فردت "أي طلب تريدين؟".

الفصل الثالث والعشرون

بين حنايا اللقاء

عدت إلى منزلي بعد أن طلبت من فاطمة السماح لي بدخول مكتب محمد، وافقت وقالت: "عليكِ أن تنتظري بضعة أيام وسأمنحكِ ما تريدي"، مكثت أيامي منذ عودتي وأنا منعزلة عن الجميع داخل المنزل، فذلك هاتفي قد أغلقته وذلك باب غرفتي قد أحكمت غلقه وتلك ملابسي المزركشة التي اعتدتُ أنا ومحمد على أن نختارها سويًا قد هجرتها وتلك أطعمة كنا نستحسن تناولها قد فقدت الشغف نحوها، زاد الأمر سوءًا وتدهورت حالتي الصحية والنفسية، أصابني الأرق الشديد حتى عند محاولتي أن أتناول بعض من المنومات، ولكنها كانت بلا جدوى، فعقلي بات يفكر ليل نهار.. في المرة ألف مرة.

حتى جاء الموعد، وإذا بفاطمة تبلغني عبر الهاتف قائلةً: "هل لك أن تأتي غدًا؟" أجبت "بالطبع! سآتي غدًا".

سهرت طول الليل أناجي أحزاني وأحدث نفسي "غدًا ستكونين في مكتب محمد، ستدخلين تلك الخلوة التي طالما كان يحدثك منها ويكتب سطوره في مفكرته عنكِ".

جاء الوقت وجاء الصباح وبدأت استحضر كافة أموري لأتوجه إلى بيت محمد تحديدًا إلى غرفته، كنت مفعمة بمشاعر لم أجد لها تأويل، فذلك قلبي يمتلئ من الأسى والحزن وذلك عقلي صار لا يصدق ما حدث برمته، تحركت بسيارتي ووصلت إلى بيت محمد وكانت فاطمة في انتظاري، ألقيت التحية لها قائلةً: "السلام عليكم، كيف حالكِ؟ "، فأجابت: "وعليكم السلام، حالي! أشعر بندم شديد وتقصير تجاه ما قدمت لمحمد خلال فترة حياتي."، أخبرتها: "هل لي أن أدخل غرفته الآن. "، كنت شغوفة بشكل كبير لدخول مكتبه والأنس بروحه أكثر من استماعي لحديث فاطمة، شعرت وكأنه في انتظاري فاردًا ذراعيه تجاهي، دب الحزن طريقه تجاه قلبي شيئًا فشيئًا، فكست الآلام على نواحي قلبي، وما أن جاءت اللحظة ووضعت يدي على مقبض الباب، شعرت وكأني ألامس يد محمد، ارتعشت يدي رعشة غريبة وبدأت بكائي دخلت الغرفة وكان أول ما وقعت عليه عيني هو مدونته وأقلامه التي كانت على مكتبه، تحركت نحوها وكانت تحمل اسم **إسورة**

وكلبش واحتضنتها حضنًا كاد يكسر ضلوعي، شعرت أن محمد بين ضلوعي يخبرني "يا الحبيبة! أنا هنا.. أنا معكِ"، توجع قلبي وبكت عيني ثم عدت أستجمع أوراق روايتنا التي حلمنا بها يومًا وسطرنا فيها ما تعاهدت عليه قلوبنا، دونًا فيها أحداثًا لأفراحنا وآلامًا وأوجاعًا، فكانت بمثابة شاهد عيان على قصة عشقنا.

وبعدها سألت فاطمة عن متعلقات محمد الشخصية كملابسه وإسورته وخاتمه، فأشارت إلى خزانة ملابسه، توجهت نحوها وأنا أحمل بيدي أوراق الرواية، فتحت الخزانة فإذا بعيني تقع على ملابسه وبدأت بالصراخ قائلةً: "آه يا محمد!!! لمَ تركتني لوحدي!!" همست فاطمة في أذني قائلةً: " هوني على حالكِ، أعلم أن محمد كان يحبكِ حبًا جمًا، كان يروي لي عنكِ وعن مدى تعلقه بكِ".

تحول الأمر كله إلى ذكرى وبدأنا في استخدام أفعال الماضي، صار الأمر كله مجرد حدوته تسكن في خانة الذكريات، بدأت أبحث عن إسورته وخاتمه، وعن أي أسورة أتحدث فتلك التي تشاركنها سويًا، وأي خاتم فذلك خاتم زواجنا، حتى وإن كان خيالاً، ولكنه كان يحمل الأمل لغد تمنيناه أن يجمع شملنا، لطالما دومًا كنا نقول كلمة في صوت واحد "هتتعدل.. "ولكن وا أسفاه مضى الوقت ولم يتغير الأمر، بل جاء بالمزيد من الوجع، رحل نصفي الآخر رحل عني وتركني ألملم أذيال الحسرة والندامة.

فتحت حقيبته واستخرجت الإسورة والخاتم، إسورة الأحلام الوردية التي أعلن الواقع قبضته عليها وفرض علينا كل ما يقيد به أرواحنا، لم أكن أتوقع أن تأول بيننا الحياة إلى تلك النهاية، سمعت صوتًا بخارج الغرفة ينادي "فاطمة! أسمع صوتًا غريبًا بالداخل"، فأجابت" لا يا أمي، أنا هنا لوحدي"، صمت قليلًا حتى لا تتمكن أمه من سماع صوتي وبعدها قالت فاطمة: "خذي ما تحتاجي فهذا إرثكِ".

كم كانت جملة موجعة، فتحت حقيبتي وضعت فيها الإسورة والخاتم وأوراق الرواية، وغادرت مسرعة من الدار، عدت إلى مسكني وأنا أحمل بداخلي صورًا لأجمل فترة مرت بحياتي، أوقات شهدنا فيها ضحكات عدة واستشعرنا فيها معاني أن يجد الإنسان ونيسه الذي يشبه حقًا، من يشعر في كنفه بالأمان، مَن يتقاسم معه كل شيء.

هممت بالخروج بسيارتي من كثرة الضيق الذي ألم بصدري ورحت أبحث عن محمد كالتي فقدت عقلها وأي عقل أملك الآن! ما زلت لا أصدق ما الذي حدث ولسان حالي يقول" محمد مازال على قيد الحياة".

ذهبت إلى كافة الأماكن التي اعتدنا أن نلتقي فيها سويًا، ولكني لم أجده، استخرجت هاتفي كي أدق على هاتفه، ولكنه كان

مغلق، أرسلت له رسائل عدة نصها: "محمد! أجبني!" فما من مجيب، ملأت الدموع قلبي وعيني وفجأة فتحت عيني فإذا بي أجد نفسي داخل المستشفى وبجانبي جمع من الأهل والأقارب.

الفصل الرابع والعشرون

أين عقلي ؟

أبصرتُ الوجوه وقلتُ لهم: "ما الذي حدث لي؟" أجابت الممرضة قائلة: "لقد أتوا بكِ إلى هنا بعد أن تعرضت لحادث بسيارتكِ." فقلت لها: " وأين محمد؟ هل هو بخير؟" فقالت "لقد كنتِ وحدكِ"، فقلت: " لا! كان معي محمد. أين هو؟"..

أسرعت الممرضة بالخروج وأحضرت حقنة في يدها وقالت: "عليكِ أن تكملي الأدوية." فقلت: " لا! أود محمد. هذا هو دوائي." ومن بعدها لم أتذكر ما الذي حدث لي.

استفقت في الصباح وبدأت حالتي تتحسن يومًا تلو الآخر. استأذنت منهم أن يخرجوني وحدث ما تمنيت، وحان يوم خروجي من المستشفى وسألت الأمن بداخل المستشفى عن متعلقاتي وبالأخص ما جمعته من غرفة محمد، أعطاني كافة أشيائي.

أخرجت هاتفي واتصلتُ على فاطمة وسألتها عن مكان مقبرة محمد، أعطت لي كافة التفاصيل التي تعينني كي أصل هناك وسألتني "هل لي أن أصطحبكِ لهناك؟".

فقلت: "لا! أود أن أذهب لوحدي."

توجهت إلى المكان ورأيت لافتة بعنوان: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون"، همس قلبي محدثًا: "أرغب أن ألحق بكَ الآن يا محمد".

لم أتخيل ولو لبرهة واحدة تلك الحياة التي أعاصرها، أخذت أبحث عن المقبرة حتى وجدتها، كان الذهول يلوح في ذهني والآلام تتراكم بقلبي، أخرجت الإسورة والرواية والخاتم من حقيبتي وصرخت قائلة: "محمد! أعطني يدكَ الآن، أود أن أعلنها صريحة أنتَ زوجي وأنا زوجتكَ، هلمَّ محمد، حان وقت الحلم، أتسمع صوت الموسيقى تُعزف والزغاريد حولنا وأصوات الناس يقولون مبارك عليكم؟ ".

تعالى صوتي في الآفاق حتى تجمع الناس من حولي، حاولوا تهدئتي لكني صرخت "أتركوني مع محمد، أود أن ألمس يده وأزينه بخاتم الزواج.. محمد! أخبر الجميع أني أنا زوجتكَ. "

مازلتُ في حالتي حتى شعرت بيد على كتفي تجذبني للوراء، فكانت فاطمة قلت لها:

فاطمة؛ "هل أحضرت بعضًا من الشوكولاتة والمشروبات؟ "

نظرت فاطمة إليَّ وقالت أمنية! "اهدئي بالله عليكِ".

جذبتني فاطمة إلى الوراء بعد أن كنت منكبة على المقبرة.

حل الإرهاق والإعياء عليَّ بعد أن تكاثرت الأوجاع بداخلي. اصطحبتني فاطمة إلى دار خالها القريب من المكان، تجرعت القليل من الماء، كان قلبي ينبض بشكل جنوني، حاولت فاطمة أن تستدعي لي ابنة خالها الطبيبة كي تطمئن على حالة قلبي، رفضت وقلت لها: "لا! أود أن يتوقف قلبي وألحق بمحمد."، أحضرت فاطمة لي بعضًا من الطعام، ولكني رفضت وقلت لها "فاطمة! لا ترهقي نفسكِ، أعلم أني تعيسة الحظ وسأعيش ويبدو أنه كُتب عليَّ أن أتوجع البقية من عمري".

ولسوء حظي بدأت أتحسن شيئًا فشيئًا ولذا قررت أن أعود إلى مسكني مرة أخرى، كان في استقبالي أمي وفور دخولي عنفتني بشدة وقالت "ذهبت لقبره، ألم يكفكِ ما فعلتِ معه وهو حي؟" صمت وبداخلي أحاديث كثيرة ودخلت غرفتي.

انقضى أسبوع كامل وأنا على حالتي من حزن وهم وهجر لأي طعام أو شراب، بدأت أشعر صوتًا بداخل غرفتي أكاد أميزه بقلبي قبل أذني -هو صوت محمد-، بدأت الوحدة تقتلني، حياة بين أربعة حوائط باهتة، حتى جاء اليوم الذي شعرت فيه بألم فظيع في رأسي وإذا بي أصرخ فجأة: "أدركوني يا مَنْ بالخارج. "

كانت هذه هي الصرخة الأخيرة لي في مسكني وكأنها إعلان لفك قيود لطالما حلمت أن أتحرر منها وها أنا أكمل روايتي مع محمد من هنا وأسرد إليكم أحداثها وأمام عيني لافتة مكتوب عليها..

كنا بخير لولا الآخرون..

إلى القاء في الجزء الثاني من اسورة وكلبش

المحتويات

الإهداء 7
الفصل الأول قهوة سادة..... 11
الفصل الثاني على شرفات المملكة..... 17
الفصل الثالث عقل يهجس وقلب يهمس 21
الفصل الرابع الراوى والبطل..... 25
الفصل الخامس دق قلبها 29
الفصل السادس قهوة في المحبس..... 35
الفصل السابع بَصْرة 39
الفصل الثامن نلت قلبها 45
الفصل التاسع طعنة خائن..... 49
الفصل العاشر الفرعون المصري..... 53
الفصل الحادى عشر عقد قرآن 57
الفصل الثاني عشر الفانوس السحرى..... 63
الفصل الثالث عشر حلم وعلم 69
الفصل الرابع عشر وهنا تم اللقاء..... 75
الفصل الخامس عشر لقاء وعتاب..... 79
الفصل السادس عشر للحديث بقية..... 83

الفصل السابع عشر قلبي جواد يركض تجاهكِ 87
الفصل الثامن عشر في حضره الملكة..... 93
الفصل التاسع عشر أود الانسحاب..... 99
الفصل العشرون الاسورة 103
الفصل الحادى والعشرون نتجرع مرًا..... 107
الفصل الثاني والعشرون لمَ استعجلت الرحيل 111
الفصل الثالث والعشرون بين حنايا اللقاء..... 115
الفصل الرابع والعشرون أين عقلي؟ 121